سُورَةُ الإِسْرَاءِ

مَكِّيَّةٌ [إِلاَّ الآيَاتِ ٢٦ و٣٢ و٣٣ و٥٧، وَمِنْ آيَةِ ٧٣ إِلَىٰ غَايَةِ آيَةِ ٨٠ فَمَدَنِيَّةٌ] وَآيَاتُهَا ١١١ [نَزَلَتْ بَعْدَ القَصَصِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

﴿سُبْحَانَ﴾: علم للتسبيح كعثمان للرجل، وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره: أسبح الله سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسدّه، ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله[1]، و﴿أَسْرَىٰ﴾: وسرى لغتان، و﴿لَيْلًا﴾: نصب على الظرف.

فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى: ذكر الليل[2]؟

---

(١) قوله: «القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله» يريد بهم أهل السنة القائلين بأنه تعالى هو الخالق لجميع الحوادث من أفعال العباد وغيرها، خيراً كانت أو شراً، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إن العبد هو الخالق لفعل نفسه حتى يكون مقدوراً له، فيصح تكليفه به، ولكن استند أهل السنة لمثل قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ وهذا لا ينافي اختيار العباد في أفعالهم، لأنهم أثبتوا لهم الكسب فيها، كما تقرر في علم التوحيد (ع).

(٢) قال محمود: «فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل... إلخ»؟ قال أحمد: وقد قرن الإسراء بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا، كقوله ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وكقوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن الغرض من ذكر الليل وإن كان الإسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع، وكأن الإسراء لما دل على أمرين، أحدهما: السير، والآخر: كونه ليلاً. أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب، وتنبيهاً على أنه مقصود بالذكر. ونظيره في إفراد أحد ما دل عليه اللفظ المتقدم مضموماً لغيره قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية، وكذلك المفرد، فأريد التنبيه لأن أحد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود، وكذلك أريد الإيقاظ؛ لأن الوحدانية هي المقصودة في قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ولو اقتصر على قوله (إنما هو إله) لأوهم أن المهم إثبات الإلهية له، والغرض من الكلام ليس إلا الإثبات للوحدانية، والله أعلم.

قلت: أراد بقوله: (ليلاً) بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة؛ وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية؛ ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة: «من الليل»، أي: بعض الليل؛ كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً﴾ [الإسراء: ٧٩]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل، واختلف في المكان الذي أسري منه فقيل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر، وروي عن النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فِي الحِجْرِ عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِالبُرَاقِ» (٨٤٦)، وقيل: أسري به من دار أم هانىء بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام: الحرم؛ لإحاطته بالمسجد والتباسه به، وعن ابن/ ١٩٨أ عباس: الحرم كله مسجد، وروي أنه كان نائماً في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسري به[1] ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانىء، وقال: «مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانىء بثوبه فقال: مالك؟ قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: وإن كذبوني، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله ﷺ بحديث الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلم فحدّثهم، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وارتد ناس ممن كان قد آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك (٨٤٧)؛ فسمي الصدّيق، وفيهم من

---

٨٤٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٤٥) ـ كتاب بدء الخلق (٥٩) ـ باب ذكر الملائكة عليهم السلام (٦) ـ (٣٢٠٧). ومسلم (١/ ٤٩٠ ـ نووي) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ (٢٦٤) والترمذي (٥/ ٤٤٢) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ سورة «ألم نشرح» (٣٣٤٦) مختصراً والنسائي (١/ ٢١٧) ـ كتاب الصلاة (٥) ـ باب فرض الصلاة ـ (٤٤٨). وفي الكبرى (١/ ١٣٨) ـ كتاب الصلاة الأول (٢) ـ باب فرض الصلاة (١) ـ (٣١٣) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٥٣) ـ كتاب الصلاة ـ باب بدء فرض الصلوات الخمس (٣٠١).
وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة مطولاً. انتهى.

٨٤٧ ـ قال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.
وأخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) ـ كتاب التفسير ـ سورة الإسراء ـ (١١٢٨٥) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس مرفوعاً «لما كان ليلة أسري..»
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) ـ كتاب معرفة الصحابة ـ من حديث عائشة وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٣٢) (١٠٥٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧) كلاهما من حديث أم هانئ من طرق مختلفة. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٨) لأبي يعلى الموصلي في مسنده ولم أجده، فلعله من المفقود ـ والله المستعان ـ.
ونقل الزيلعي عن ابن دحية في كتابه المسمى «بالتنوير في مولد السراج المنير» قال: وقد ورد =

سافر إلى مائمَ، فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس، فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أمّا النعت فقد أصاب، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد شرقت، فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين، وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة، وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشاً ـ أيضاً ـ بما رأى في السماء من العجائب، وأنه لقي الأنبياء، وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى، واختلفوا في وقت الإسراء، فقيل: كان قبل الهجرة بسنة، وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث، واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «والله، ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه» (٨٤٨)، وعن معاوية: إنما عرج بروحه، وعن الحسن: كان في المنام رؤيا رآها، وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك، والمسجد الأقصى: بيت المقدس؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: يريد بركات الدين والدنيا؛ لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحي، وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة، وقرأ الحسن: «ليريه»: بالياء، ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم، فقيل: أسرى ثم باركنا ثم ليريه، على قراءة الحسن: «ثم من آياتنا»، «ثم إنه هو»، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال محمد ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: بأفعاله، العالم بتهذبها وخلوصها، فيكرمه ويقرّبه على حسب ذلك.

= حديث الإسراء من رواية عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قرط، وأبي حبة، وأبي ليلى الأنصاري، وعبد الله بن عمرو، وجابر الأنصاري وحذيفة وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء، وصهيب الرومي وعائشة وأختها أسماء، وأم هاني. منهم من رواه بطوله ومنهم من اختصره. أ.هـ

٨٤٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٦) (٢٢٠٣٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٨) لابن إسحاق، وذكره ابن هشام في سيرته (٢/ ٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١١٠).
قلت: وهذا متن منكر، فقد صحت الروايات المرفوعة والموقوفة بالإسراء جسداً وروحاً.
وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، ثم رأيته من رواية جرير عن الضحاك عن ابن عباس. أخرجه الحاكم والبيهقي عنه، لكن لم يسبق لفظه. وقد رواه النَّسائي باختصار عن هذا من رواية عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس، وأورده ابن سعد وأبو يَعلى والطبراني من حديث أم هانئ مطولاً. انتهى.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾: قرئ بالياء على: «لئلا يتخذوا»، وبالتاء على: أي لا تتخذوا؛ كقولك: كتبت إليه أن أفعل كذا، ﴿وَكِيلًا﴾: ربا تكلون إليه أموركم، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾: نصب على الاختصاص، وقيل: على النداء فيمن قرأ: ﴿لا تتخذوا﴾: بالتاء على النهي، يعني: قلنا لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا، ﴿مَعَ نُوحٍ﴾: وقد يجعل (وكيلاً ذرية من حملنا) مفعولي تتخذوا، أي: لا تجعلوهم أرباباً؛ كقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦٓنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠] ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ـ عليهم السلام ـ وقرئ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾: بالرفع بدلاً من واو (تتخذوا)، وقرأ زيد بن ثابت: «ذِرية»: بكسر الذال، وروي عنه أنه قد فسرها يولد الولد، ذكرهم الله النعمة في إنجاء آبائهم من الغرق، ﴿إِنَّهُ﴾: إن نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: قيل: كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني، وإذا احتذى قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية، ولو شاء حبسه، وروي أنه كان إذا أراد الإفطار، عرض طعامه على من آمن به، فإن وجده محتاجاً آثره به.

فإن قلت: قوله: «إنه كان عبداً شكوراً» ما وجه ملاءمته لما قبله؟

قلت: كأنه قيل: لا تتخذوا من دوني وكيلاً، ولا تشركوا بي؛ لأن نوحاً ـ عليه السلام ـ كان عبداً شكوراً، وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه، فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم، ويجوز أن يكون تعليلاً لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح، فهم متصلون به، فاستأهلوا لذلك الإختصاص، ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾: وأوحينا إليهم وحياً مقضياً، أي: مقطوعاً مبتوتاً بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة، ويعلون، أي: يتعظمون ويبغون، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في

التوراة، و﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾: جواب قسم محذوف، ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم، فيكون (لتفسدن): جواباً له، كأنه قال: وأقسمنا لتفسدن، وقرئ: «لتفسدنّ»، على البناء للمفعول، «ولتَفسدن»: بفتح التاء من فسد، ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾: أولاهما: قتل زكريا وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله، والآخرة: قتل يحيي بن زكريا وقصد قتل عيسى ابن مريم، ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾: وقرئ: «عبيداً لنا»، وأكثر ما يقال: عباد الله وعبيد الناس: سنحاريب وجنوده[1]، وقيل بختنصر، وعن ابن عباس: جالوت: قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة، وخربوا المسجد، وسبوا منهم سبعين ألفاً.

فإن قلت: كيف جاز أن يبعث الله الكفرة[2] على ذلك ويسلطهم عليه[3]؟

قلت: معناه: خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم، على أنّ الله ـ عزّ وعلا ـ أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه؛ فهو كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩] وكقول الداعي،/ ١٩٨ب وخالف بين كلمهم، وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم، فتخريب المسجد، وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم، وقرأ طلحة: (فحاسوا): بالحاء وقرئ: «فجوّسوا»، وخلل الديار.

فإن قلت: ما معنى: ﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؟

قلت: معناه وعد عقاب أولاهما ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ يعني: وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو، قيل هي قتل بختنصر، واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم، ورجوع الملك إليهم، وقيل: هي قتل داود جالوت، ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: مما كنتم، والتنفير، من ينفر مع الرجل من قومه، وقيل: جمع نفر كالعبيد والمعيز.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

---

(١) قوله: «سنحاريب وجنوده» كان ملك بابل، وبختنصر هو ابن ابنه، وكان من كتابه. كذا في الخازن (ع).

(٢) قوله: «فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك» مبني على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده. وهو مذهب المعتزلة. وعند أهل السنة كل كائن فهو فعله ومراده ولو شرا، فلا سؤال (ع).

(٣) قال محمود: «إن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة... إلخ» قال أحمد: هذا السؤال إنما يتوجه على قدري يوجب على الله تعالى بزعمه رعاية ما يتوهمه بعقله مصلحة. وأما السني إذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله: ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ والله الموفق.

أي: الإحسان والإساءة: كلاهما مختص بأنفسكم، لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه، وتلاها، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾: المرّة ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: بعثناهم[1]، ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: حذف لدلالة ذكره أوّلاً عليه، ومعنى ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها؛ كقوله: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المائدة: ٢٧] وقرئ: «ليسوء» والضمير لله تعالى؛ أو للوعد، أو لبعث، «ولنسوء»: بالنون، وفي قراءة عليّ: «لنسوأنّ»، «وليسو أنّ» وقرئ: «لنسو أن»: بالنون الخفيفة، واللام في ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟﴾: على هذا متعلق بمحذوف، وهو: وبعثناهم ليدخلوا، ولنسوأن: جواب إذا جاء، ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: مفعول ليتبروا، أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى: مدة علوّهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ﴾: بعد المرّة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي، ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: مرة ثالثة؛ ﴿عُدْنَا﴾: إلى عقوبتكم وقد عادوا، فأعاد الله إليهم النقمة، بتسليط الأكاسرة وضرب الأتاوة عليهم، وعن الحسن عادوا فبعث الله محمداً، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، وعن قتادة: ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة، ﴿وَجَعَلْنَا﴾: محصر وحصير، وعن الحسن: بساطاً كما يبسط الحصير المرمول[2].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدّها، أو للملة، أو للطريقة، وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف، لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه، وقرئ: «ويبشر»: بالتخفيف.

---

(١) قوله: «﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ المرة (الآخرة) بعثناهم: أي عبادنا وهم في هذه المرة؛ الفرس والروم، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خروش. حتى دخل الشام بجنود فقتل وسبى. حتى كاد يفني بني إسرائيل، وبقي منهم بقايا حتى كثروا، وكانت لهم الرياسة في بيت المقدس إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططوس بن أسبيانوس الرومي فخرب بلادهم وطردهم عنها، وبقي بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن الخطاب، فعمره المسلمون بأمره. اهـ من الخازن (ع).

(٢) قوله: «كما يبسط الحصير المرمول» أي المنسوج، أفاده الصحاح (ع).

فإن قلت: كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة؟

قلت: كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي، وإما مشرك؛ وإنما حدث أصحاب المنزلة[1] بين المنزلتين بعد ذلك.

فإن قلت: علام عطف: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

قلت: على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾: على معنى: أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين: بثوابهم، وبعقاب أعدائهم، ويجوز أن يراد: ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

أي: ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله، كما يدعوه لهم بالخير؛ كقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ يونس: ١١]. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾: يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله، لا يتأنى فيه تأني المتبصر، وعن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً، فأقبل يئن بالليل، فقالت له: مالك تئن؟ فشكا ألم[2] القدّ، فأرخت من كتافه، فلما نامت، أخرج يده وهرب، فلما أصبح النبي ﷺ دعا به فأعلم بشأنه، فقال ﷺ «اللَّهُمَّ اقْطَعْ يَدَيْهَا» فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة، وأن يقطع الله يديها، فقال النبي ﷺ: «إِنِّي سَأَلْتُ الله أَنْ يَجْعَلَ لَعْنَتِي وَدُعَائِي عَلَىٰ مَنْ لا يَسْتَحِقُّ مِنْ أَهْلِي رَحْمَةً لأَنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ فَلْتُرَدُّ سَوْدَةُ يَدَيْهَا» (٨٤٩) ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر، وأنه يدعو بالعذاب استهزاء

---

٨٤٩ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٠): غريب من حديث سودة. وقال ابن حجر: لم أجده من هذه الجهة. قلت: وأخرج أحمد في المسند (٣/ ١٤١) ثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني ثابت البناني حدثني أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ دفع إلى حفصة ابنة عمر رجلاً فقال احتفظي به... فذكر الحديث.

وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح وأخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٨٩) ـ كتاب السير ـ باب الأسير يوثق ـ من حديث عائشة أن النبي ﷺ دخل عليها بأسير وعندها نسوة... وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف، للواقدي في كتاب المغازي،

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أجده من هذه الجهة، وقد أخرجه الواقدي في المغازي من رواية ذكوان عن عائشة «أن النبي ﷺ دخل عليها بأسير، وقال لها: احتفظي به. قالت: فلهوت مع امرأة فخرج ولم أشعر. فدخل يسأل عنه فقلت: والله ما أدري. فقال: قطع الله يدك، فذكر نحو ما تقدم. ورويناه في الجزء =

---

(١) قوله: «وإنما حدث أصحاب المنزلة» يعني الفسقة. وإثبات الواسطة مذهب المعتزلة دون أهل السنة، فإن الفسق لا يزيل الإيمان عندهم (ع).

(٢) قوله: «فشكا ألم القد» في الصحاح «القد» بالكسر: سير يقد من جلد غير مدبوغ (ع).

ويستعجل به، كما يدعو بالخير إذا مسته الشدّة، وكان الإنسان عجولاً، يعني: أن العذاب آتيه لا محالة، فما هذا الاستعجال، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، فأجيب له، فضربت عنقه صبراً.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين، كإضافة العدد إلى المعدود، أي: فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة.

والثاني: أن يراد: وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين، يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل، أي: جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلماً، لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحوّ، وجعلنا النهار مبصراً، أي: تبصر فيه الأشياء وتستبان، أو فمحونا آية الليل: التي هي القمر؛ حيث لم يخلق لها شعاعاً كشعاع الشمس، فترى به الأشياء رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم، ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾: باختلاف الجديدين، ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: جنس، ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾: وما تحتاجون إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات، ولتعطلت الأمور، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم، ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيناه بياناً غير ملتبس، فأزحنا عللكم؛ وما تركنا لكم حجة علينا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عمله، وقد حققنا القول فيه في سورة النمل، وعن ابن عيينة: هو من قولك: طار له سهم، إذا خرج، يعني: ألزمناه ما طار من عمله، والمعنى أنّ عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه، ومنه مثل العرب: تقلدها طوق الحمامة، وقولهم:

= التاسع من حديث المخلص تخريج البقال. قال: حدثنا ابن أبي داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ذكوان بهذا. انتهى.

الموت/١٩٩أ في الرقاب، وهذا ربقة في رقبته، عن الحسن: يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك، وقرئ ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾: بسكون النون، وقرئ: ﴿وَنُخْرِجُ﴾: بالنون، و «يخرج»: بالياء، والضمير لله ـ عز وجل ـ ويخرج، على البناء للمفعول، ويخرج من خرج، والضمير للطائر، أي: يخرج الطائر كتاباً، وانتصاب: ﴿كِتَٰبًا﴾: على الحال، وقرئ: «يلقّاه»: بالتشديد مبنياً للمفعول، و ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾: صفتان للكتاب، أو (يلقاه): صفة و (منشوراً): حال من يلقاه، ﴿ٱقْرَأْ﴾: على إرادة القول، وعن قتادة: يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً، و ﴿بِنَفْسِكَ﴾: فاعل كفى، و ﴿حَسِيبًا﴾: تمييز، وهو بمعنى: حاسب كضريب القداح بمعنى: ضاربها، وصريم بمعنى: صارم: ذكرهما سيبويه، وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا، ويجوز أن يكون بمعنى: الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى؛ لأن الشاهد يكفي المدّعي ما أهمه.

فإن قلت: لم ذكر حسيباً؟

قلت: لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير؛ لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها الرجال، فكأنه قيل: كفى بنفسك رجلاً حسيباً، ويجوز أن يتأول النفس بالشخص، كما يقال: ثلاثة أنفس، وكان الحسن إذا قرأها قال: يا ابن آدم، أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

أي: كل نفس حاملة وزراً؛ فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾: وما صح منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب[1] قوماً إلا بعد أن ﴿نَبْعَثَ﴾: إليهم ﴿رَسُولًا﴾: فتلزمهم الحجة.

فإن قلت: الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل؛ لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف

---

(١) قال محمود: «معناه وما صح مناصحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوماً حتى تلزمهم الحجة ببعث الرسول... إلخ» قال أحمد: وهذا السؤال أيضاً إنما يتوجه على قدري يزعم أن العقل يرشد إلى وجوب النظر وإلى كثير من أحكام الله تعالى، وإن لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكليف استيجاب العذاب، إذ العقل كاف عندهم في إيجاب المعرفة بل في جميع الأحكام، بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين. وأما السني فلا يتوجه عليه هذا السؤال، فإن العقل عنده شرط في وجوب عموم الأحكام، ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الأنبياء، وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة، كما أنبأت عنه هذه الآية التي يروم الزمخشري تحريفها فتعتاص عليه وتسد طرق الحبل بين يديه، لأنه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نعم العقل عمدة في حصول المعرفة لا في وجوبها، وبين الحصول والوجوب بون بعيد، والله الموفق.

الله، وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه، واستيجابهم العذاب؛ لإغفالهم النظر فيما معهم، وكفرهم لذلك، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف، والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان.

قلت: بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة؛ لئلا يقولوا: كنا غافلين، فلولا بعثت إلينا رسولاً ينبهنا على النظر في أدلة العقل.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾: وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل، أمرناهم[1] ﴿فَفَسَقُوا۟﴾ أي: أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز؛ لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً[2]، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبًّا، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك؛ لتسبب إيلاء النعمة فيه؛ وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر، كما خلقهم أصحاء أقوياء، وأقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم.

فإن قلت: هلا زعمت أن معناه: أمرناهم بالطاعة ففسقوا؟

قلت: لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه؛ وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه، وهو كلام مستفيض، يقال: أمرته فقام، وأمرته، فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة، ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب، ولا يلزم على هذا قولهم: أمرته فعصاني، أو فلم يمتثل أمري؛ لأن ذلك مناف للأمر مناقض له، ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به، فكان محالاً أن يقصد أصلاً حتى يجعل دالاً على المأمور به، فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي؛ لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأموراً به، وكأنه يقول: كان مني أمر فلم تكن منه طاعة، كما أن من يقول: فلان يعطي ويمنع، ويأمر وينهى، غير قاصد إلى مفعول.

---

(١) قوله: «أمرناهم ففسقوا» في النسفي: أمرنا مترفيها: متنعميها وجبابرتها (ع).

(٢) قال محمود: «حقيقة أمرهم أن يقول لهم: افسقوا. ولا يكون هذا، فبقي أن يكون مجازاً... إلخ» قال أحمد: نص حسن إلا قوله أنهم خولوا النعم ليشكروا، فإنه فرعه، على قاعدة وجوب إرادة الله تعالى للطاعة. والحق أنهم خولوها وأمروا بالشكر، ففسقوا وكفروا على خلاف الأمر، والأمر غير الإرادة على قاعدة أهل الحق، والله الموفق.

فإن قلت: هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء، وإنما يأمر بالقصد والخير؛ دليلاً على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا؟

قلت: لا يصح ذلك؛ لأن قوله (ففسقوا): يدافعه، فكأنك أظهرت شيئاً وأنت تدعي إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير «أمر»: شاء، في أن مفعوله استفاض في الحذف لدلالة ما بعده عليه، تقول: لو شاء لأحسن إليك، ولو شاء لأساء إليك، تريد: لو شاء الإحسان ولو شاء الإساءة، فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت ـ وقلت: قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان أو من أهل الإساءة، فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة ـ لم تكن على سداد، وقد فسر بعضهم (أمرنا): بكثرنا، وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل، كثبرته فثبر، وفي الحديث: «خَيْرُ المَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ»[1] (٨٥٠) أي: كثيرة النتاج، وروي أن رجلاً من المشركين قال لرسول الله ﷺ: إني أرى أمرك هذا حقيراً، فقال ﷺ: «إِنَّهُ سَيَأْمُرُ» (٨٥١). أي: سيكثر وسيكبر.

---

٨٥٠ ـ أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ١٠٧) (٦٤٧٠ ـ ٦٤٧١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) (١٤٠٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٦١): رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف (٢/ ٦٥٥): أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والحارث، والطبراني، أبو عبيد من رواية مسلم بن بديل عن إياس بن زهير، عن سويد، عن النبي ﷺ فذكره. قال ابن إسحاق: ومعه النضر بن شميل وغيره يرفعه. أ.هـ قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والحارث، والطبراني، وأبو عبيدة من رواية مسلم بن بديل، عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة، عن النبي ﷺ قال: «خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مهرة: قال ابن إسحاق: ومعه النضر بن شميل وغيره يرفعه. انتهى.

٨٥١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٢):

غريب جدا، ولو استشهد المصنف بحديث الصحيحين، لكان أولى؛ أخرجاه في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، وفيه قال أبو سفيان: فلما خرجنا قلت لأصحابي: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، والله ما زلت مستيقناً أن أمره سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام... الحديث بطوله.

والمصنف استدل بهذا الحديث والذي قبله لمن فسر قوله «أمرنا مترفيها» بمعنى: كثرنا. أخرجاه عن ابن عباس، عن أبي سفيان.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده. انتهى.

---

(١) قوله: «كثبرته فثبر، وفي الحديث خير المال سكة مأبورة» في الصحاح «ثبرته» أي حبسته. وفيه «السكة» الطريقة من النخل. وفيه «أبر نخلة» أي لقحه وأصلحه (ع).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

وقرئ: «آمرنا»: من أمر وأمره غيره، وأمرنا بمعنى: أمرنا، أو من أمر إمارة، وأمره الله، أي: جعلناهم أمراء وسلطناهم، ﴿كم﴾: مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: بيان لكم وتمييز له، كما يميز العدد بالجنس، يعني: عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً، ونبه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير، وأنه عالم بها ومعاقب عليها.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

من كانت ١٩٩/ ب العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة[1]، تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد، فقيد الأمر تقييدين، أحدهما: تقييد المعجل بمشيئته، والثاني: تقييد المعجل له بإرادته، وهكذا الحال: ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضاً منه، وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه، فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما المؤمن التقي، فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة، فما يبالي: أوتي حظاً من الدنيا أو لم يؤت، فإن أوتي فيها وإلا فربما كان الفقر خيراً له وأعون على مراده، وقوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾: بدل من له، وهو بدل البعض من الكل؛ لأن الضمير يرجع إلى: «من»، وهو في معنى الكثرة، وقرئ: «يشاء»، وقيل: الضمير لله تعالى، فلا فرق إذاً بين القراءتين في المعنى، ويجوز أن يكون للعبد، على أن للعبد ما يشاء من الدنيا، وأن ذلك لواحد من الدهماء[2] يريد به الله ذلك، وقيل: هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة، كالمنافق، والمرائي، والمهاجر للدنيا، والمجاهد للغنيمة والذكر، كما قال ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» ح (٨٥٢) ﴿مَّذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله،

---

٨٥٢ ـ أخرجه البخاري (١/ ٩) كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي حديث (١)، (٥/ ١٩٠)، =

---

(١) قال محمود: «أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة... إلخ» قال أحمد: ومثل ذلك التقييد ورد في الآية الأخرى، وهو قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ فأدخل «من» المبعضة على حرث الدنيا. ونحل الطالب حرث الآخرة مراده، وزاد عليه.

(٢) قوله: «لواحد من الدهماء» في الصحاح «دهماء الناس» جماعتهم (ع).

﴿سَعْيَهَا﴾: حقها من السعي وكفاءها من الأعمال الصالحة، اشترط ثلاث شرائط في كون

= كتاب العتق: باب الخطأ والنسيان حديث (٢٥٢٩)، (٧/ ٢٦٧)، كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة حديث (٣٨٩٨)، (٩/ ١٧) كتاب النكاح: باب من هاجر أو عمل خيراً لتزوج امرأة فله ما نوى حديث (٥٠٧٠)، (١١/ ٥٨٠)، كتاب الأيمان والنذور: باب النية في الأيمان حديث (٦٦٨٩)، (١٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، كتاب الحيل: باب من ترك الحيل حديث (٦٩٥٣)، ومسلم (٣/ ١٥١٥) كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات حديث (١٥٥/ ١٩٠٧)، وأبو داود (٢/ ٦٥١) كتاب الطلاق: باب فيما عنى به الطلاق والنيات حديث (٢٢٠١)، والنَّسائي (١/ ٥٨ ـ ٥٩) كتاب الطهارة: باب النية في الوضوء، والتِّرمذي (٤/ ١٧٩) كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء فيمن يقاتل رياء حديث (١٦٤٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٣) كتاب الزهد باب النية حديث (٤٢٢٧)، وأحمد (١/ ٢٥، ٤٣)، والحميدي (١/ ١٦ ـ ١٧) رقم (٢٨)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ٢٧ ـ منحة) رقم (١٩٩٧)، وابن خزيمة (١/ ٧٣ ـ ٧٤) رقم (١٤٢)، وابن حِبان (٣٨٨، ٣٨٩ ـ الإحسان)، وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٦٤)، وابن المبارك في الزهد (ص ـ ٦٢، ٦٣)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (ص ـ ١٠١) رقم (٢٠٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٤٠) رقم (٨٧١)، ووكيع في «الزهد» رقم (٣٥١)، وابن المنذر في «الأوسط» (١/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل» (ص ـ ٢١٣)، والدارقطني (١/ ٥٠ ـ ٥١) كتاب الطهارة: باب النية حديث (١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩٦) كتاب الطلاق: باب طلاق المكره، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٤٢) وفي «تاريخ أصبهان» (٢/ ١١٥، ٢٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٤٠٣ ـ تهذيب)، والقضاعي في «مسند الشهاب (١، ٢، ١١٧٢، ١١٧٣)، وابن حزم في «المحلى» (١/ ٧٣)، والبيهقي (١/ ٤١) كتاب الطهارة: باب النية في الطهارة، وفي «معرفة السنن والآثار» (١/ ١٥٢)، و«شعب الإيمان» (٥/ ٣٣٦) رقم (٦٨٣٧) و«الاعتقاد» رقم (٢٥٤) وفي «الزهد الكبير» (ص ـ ١٣٢) رقم (٢٤١) وفي «الآداب» رقم (١١٣٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٤٤، ٦/ ١٥٣، ٩/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦)، والقاضي عياض في الإلماع (ص ـ ٥٤ ـ ٥٥) باب ما يلزم من إخلاص النية في طلب الحديث وانتقاد ما يؤخذ عنه، وابن جميع في «معجم شيوخه» (ص ـ ١١٧) رقم (٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٥٤ ـ بتحقيقنا)، والرافعي في «تاريخ قزوين» (٤/ ٧٧)، والنووي في «الأذكار» (ص ـ ٣٣)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٧٤)، والحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣) كلهم من طريق يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص عن عمر ابن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإن لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» قال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح. إ.هـ

وقال أبو نعيم: هذا الحديث من صحاح الأحاديث وعيونها. إ.هـ وقال ابن عساكر: هذا حديث صحيح من حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، وثابت من حديث علقمة بن وقاص الليثي، لم يروه عنه غير أبي عبد الله محمد بن إبراهيم التيمي، واشتهر عنه برواية أبي سعد يحيى ابن سعيد بن قيس الأنصاري، المدني القاضي، وهو ممن انفرد به كل واحد من هؤلاء عن صاحبه ورواه عن يحيى العدد الكثير والجم الغفير. أ.هـ

قال الحافظ في «التلخيص» (١/ ٥٥): وقال الحافظ أبو سعيد محمد بن علي الخشاب: رواه عن =

السعي مشكوراً: إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور، والسعي فيما

= يحيى بن سعيد نحو من مائتين وخمسين إنساناً، وقال الحافظ أبو موسى: سمعت عبد الجليل بن أحمد في المذاكرة يقول: قال أبو إسماعيل الهروي عبد الله بن محمد الأنصاري: كتبت هذا الحديث عن سبعمائة نفر من أصحاب يحيى بن سعيد. قلت ـ أي الحافظ ـ تتبعه من الكتب والأجزاء حتى مررت على أكثر من ثلاثة آلاف جزء فما استطعت أن أكمل له سبعين طريقاً. وقال البزار، والخطابي، وأبو علي بن السكن، ومحمد بن عتاب، وابن الجوزي وغيرهم: إنه لا يصح عن النبي ﷺ إلا عن عمر بن الخطاب... إ.هـ.

قلت: وقد روى هذا الحديث غير يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم؛ أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٣٦) من طريق الربيع بن زياد أبو عمرو الضبي، عن محمد بن عمرو، عن محمد ابن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص، عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» قال ابن عدي: وهذا الأصل فيه يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم، وقد رواه عن يحيى أئمة الناس، وأما عن محمد بن عمرو عن محمد بن إبراهيم لم يروه عنه غير الربيع بن زياد، وقد روى الربيع بن زياد عن غير محمد بن عمرو من أهل المدينة بأحاديث لا يتابع عليها إ.هـ.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة؛ وهم أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وهزال بن يزيد الأسلمي.

١ ـ حديث أبي سعيد الخدري

أخرجه الخليلي في «الإرشاد» (١/ ٢٣٣)، والدارقطني في «غرائب مالك»، والحاكم في «تاريخ نيسابور» كما في «تخريج أحاديث المختصر» لابن حجر (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٤٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٧٧٣) كلهم من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ثنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات. ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». قال الخليلي: وعبد المجيد قد أخطأ في هذا الحديث الذي يرويه عن مالك في الحديث الذي يرويه مالك والخلق عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهو غير محفوظ من حديث زيد بن أسلم بوجه أ.هـ.

وقال الدارقطني: تفرد به عبد المجيد عن مالك أ.هـ. وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك عن زيد، تفرد به عبد المجيد ومشهوره، وصحيحه ما في الموطأ مالك عن يحيى بن سعيد أ.هـ. وقد حكم ببطلان هذا الطريق أبو حاتم الرازي فقال ولده في «العلل» (١/ ١٣١) رقم (٣٦٢): سئل أبي عن حديث رواه نوح بن حبيب، عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» فقال أبي: هذا حديث باطل لا أصل له؛ إنما هو مالك عن يحيى بن سعيد، عن محمد ابن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص، عن عمر عن النبي ﷺ أ.هـ.

وقد أخرجه الحافظ بن حجر في «تخريج المختصر» (٢/ ٢٤٧) من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز عن مالك عن زيد... به. وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال أيضاً: وعبد المجيد وثقه أحمد، وابن معين، والنَّسائي، وتكلم فيه أبو حاتم، والدارقطني، وقيل: إن هذا مما أخطأ فيه على مالك، والمحفوظ عن ماك عن يحيى بن سعيد بالسند المعروف المتقدم» أ.هـ. =

كلف من الفعل والترك، والإيمان الصحيح الثابت، وعن بعض المتقدمين: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا هذه الآية،

= قلت: وقد حاول بعضهم إلصاق الخطأ بنوح بن حبيب الراوي عن عبد المجيد كالبزار مثلاً. فقال الزيلعي في «نصب الراية» (١/ ٣٠٢): وقال ـ يعني البزار؛ في مسند الخدري: حديث روي عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال:
١ ـ الأعمال بالنية» أخطأ فيه نوح بن حبيب، ولم يتابع عليه، وليس له أصل عن أبي سعيد أ.هـ.
قلت: وفي كلام البزار نظر؛ أما إن الحديث ليس له أصل عن أبي سعيد فهذا صواب، أما إلصاق الخطأ بنوح بن حبيب ودعواه أنه تفرد به ولم يتابع عليه، فهنا الخطأ؛ فقد توبع نوح بن حبيب على هذا الحديث؛ تابعه إثنان وهما إبراهيم بن محمد بن مروان بن هشام عند الدارقطني في «غرائب مالك» وعلى بن الحسن الذهلي عند الحاكم في «تاريخ نيسابور» ينظر «تخريج المختصر» لابن حجر (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).
ومنه نعلم أن نوحاً لم يتفرد به، بل تابعه اثنان، وأن الذي تفرد به هو عبد المجيد بن عبد العزيز ابن أبي رواد، وهو الذي أخطأ في الحديث.
٢ ـ حديث أنس بن مالك:
أخرجه ابن عساكر في أماليه؛ كما في «تخريج المختصر» لابن حجر (٢/ ٢٤٦) وقال الحافظ: وفي سنده ضعف. وقال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٢/ ٤): رواه ابن عساكر من رواية يحيى ابن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن أنس بن مالك، وقال: هذا حديث غريب جدا، والمحفوظ حديث عمر.
٣ ـ حديث أبي هريرة:
قال العراقي في «طرح التثريب» (٢/ ٤): رواه الرشيد العطار في بعض تخاريجه، وهو وهم أيضاً. وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ٢٤٦): أخرجه الرشيد العطار في فوائده بسند ضعيف.
٤ ـ حديث علي بن أبي طالب:
قال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٢/ ٤): رواه محمد بن ياسر الجياني في نسخة من طريق أهل البيت، إسنادها ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ٢٤٦): أخرجه أبو علي بن الأشعث، وهو واهٍ جدا.
٥ ـ حديث هزال بن يزيد الأسلمي:
أخرجه الحاكم في «تاريخ نيسابور» كما في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ٢٤٨) في ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن بالويه، من طريق محمد بن يونس، عن روح بن عبادة، عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن ابن هزال، عن أبيه عن النبي ﷺ ... فذكره قال الحاكم: ذكرته لأبي علي الحافظ، فأنكره جدا، وقال لي: قل لأبي بكر لا يحدث به بعد هذا. إ.هـ.
قال الحافظ: محمد بن يونس شيخه هو الكديمي، وهو معروف بالضعف، والمحفوظ بالسند المذكور قصة ماعز، فلعله دخل عليه حديث في حديث، وهزال هو ابن يزيد الأسلمي وهو صحابي معروف، واسم ابنه نعيم، وهو مختلف في صحبته إ.هـ.
قلت: مما سبق تبين أن حديث «إنما الأعمال بالنيات» لم يصح إلا من حديث عمر، قال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث عمر. انتهى.

وشكر الله: الثواب على الطاعة.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿كُلًّا﴾: كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض من المضاف إليه، ﴿نُّمِدُّ﴾ هم: نزيدهم من عطائنا، ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾: وفضله ﴿مَحْظُورًا﴾ أي: ممنوعاً، لا يمنعه من عاص لعصيانه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱنظُرْ﴾: بعين الاعتبار ﴿كَيْفَ﴾: جعلناهم متفاوتين في التفضل، وفي الآخرة التفاوت أكبر؛ لأنها ثواب وأعواض وتفضل، وكلها متفاوتة، وروي أن قوماً من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر ـ رضي الله عنه ـ فخرج الإذن لبلال وصهيب، فشق على أبي سفيان، فقال سهيل بن عمرو: إنما أتينا من قبلنا، إنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام، فأسرعوا وأبطأنا، وهذا باب عمر، فكيف التفاوت في الآخرة؛ ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر، وقرئ: «وأكثر تفضيلاً»، وعن بعضهم: أيها المباهى بالرفع منك في مجالس الدنيا، أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل؟

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَتَقْعُدَ﴾: من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت، كأنها حربة بمعنى: صارت، يعني: فتصير جامعاً على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك، والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكاً له.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: وأمر أمراً مقطوعاً به، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾: أن مفسرة ولا تعبدوا نهي، أو بألاَّ تعبدوا؛ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً، وقرئ: «وأوصى»، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: و «وصى»، وعن بعض ولد معاذ بن جبل: «وقضاء ربك»، ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان؛ لأن

المصدر لا يتقدم عليه صلته، ﴿إِمَّا﴾: هي «إن» الشرطية زيدت عليها «ما»؛ تأكيداً لها؛ ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل، ولو أفردت «إن»: لم يصح دخولها، لا تقول: إن تكرمن زيداً يكرمك، ولكن إما تكرمنه، و ﴿أَحَدُهُمَآ﴾: فاعل يبلغنّ، وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف. الضمير الراجع إلى الوالدين، و ﴿كِلَاهُمَا﴾: عطف على أحدهما فاعلاً وبدلاً.

فإن قلت: لو قيل إما يبلغان كلاهما، كان كلاهما توكيداً لا بدلاً، فما لك زعمت أنه بدل؟

قلت: لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيداً للاثنين، فانتظم في حكمه، فوجب أن يكون مثله.

فإن قلت: لو أريد توكيد التثنية لقيل: كلاهما، فحسب، فلما قيل: أحدهما أو كلاهما، علم أن التوكيد غير مراد، فكان بدلاً مثل الأول، ﴿أف﴾: صوت يدل على تضجر، وقرئ: «أف»: بالحركات الثلاث منوناً وغير منون: الكسر على أصل البناء، والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم، والضم إتباع كمنذ.

فإن قلت: ما معنى عندك؟

قلت: هو أن يكبرا ويعجزا، وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه؛ وذلك أشق عليه وأشد احتمالاً وصبراً، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة، فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال، حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما: أف، فضلاً عما يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما؛ حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال / ٢٠٠ أ لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، والنهي والنهر والنهم: أخوات، ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾: بدل التأفيف والنهر، ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلاً، كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة، وقيل: هو أن يقول: يا أبتاه، يا أماه، كما قال ابراهيم لأبيه: يا أبت، مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما؛ فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار[1]، قالوا: ولا بأس به في غير

---

(١) قوله: «وسوء الأدب وعادة الدعار» من الدعارة وهي الفسق والخبث والفساد. كذا في الصحاح (ع).

وجهه، كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: نحلني أبو بكر كذا (٨٥٣). وقرئ: «جناح الذل»، والذل: بالضم والكسر.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك؛ كما قال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، فأضافه إلى الذل أو الذل، كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول.

والثاني: أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحاً خفيضاً، كما جعل لبيد للشمال[1] يداً، وللقوة زماماً، مبالغة في التذلل والتواضع لهما، ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما؛ لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك ذلك لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك.

فإن قلت: الاسترحام لهما إنمايصح إذا كانا مسلمين.

قلت: وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان؛ وأن يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد، ومن الناس من قال: كان الدعاء للكفار جائزاً ثم نسخ، وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت، فقال: كل ذلك واصل إليه، ولا شيء أنفع له من الاستغفار، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين، ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين، وعن النبي ﷺ: «رِضَا اللَّه فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطهُ فِي سَخَطِهِمَا» (٨٥٤) وروي: «يَفْعَلُ البَارُّ مَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَيَفْعَلُ العَاقُّ مَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ

---

٨٥٣ ـ يأتي تخريجه في سورة «فاطر»، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه في الموطأ عن الزهري، عن عائشة قالت: «إن أبا بكر كان نحلني جداد عشرين من ماله بالعالية فلما حضرته الوفاة، قال: ما من الناس أحب إليّ منك». انتهى.

٨٥٤ ـ أخرجه التِّرمذي (٤/ ٣١٠) ـ كتاب البر والصلة (٢٨) ـ باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين ـ (١٨٩٩)، وابن حِبان في صحيحه (٢/ ١٧٢) (٤٢٩)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) (٣٣١٨)، كلهم من طريق خالد بن الحارث، عن شعبة، عن يَعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «رضى الرب...» الحديث فذكره مرفوعاً وأخرجه التِّرمذي (٤/ ٣١١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١١) حديث رقم (٢)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٤٢٩) (٣٣١٧) من طرق، عن شعبة، عن يَعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر موقوفاً. =

---

(١) قوله: «كما جعل لبيد للشمال يداً» في قوله [من الكامل]:

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها (ع).

يَدْخُلَ الجَنَّةَ» (٨٥٥)، وروى سعيد بن المسيب: إن البار لا يموت ميتة سوء، وقال رجل لرسول الله ﷺ: إن أبويّ بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر، فهل قضيتهما؟ قال: لا؛ فإنهما كان يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (٨٥٦)، وشكا رجل إلى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله، فدعا به فإذا شيخ

= وقال التِّرمذي: وهذا أصح ـ أي الموقوف ـ وهكذا روى أصحاب شعبة عن شعبة، عن يَعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو موقوفاً ولا نعلم أحداً رفعه غير خالد بن الحارث، عن شعبة، وخالد بن الحارث ثقة مأمون. قلت: وفي كلام التِّرمذي نظر؛ فقد وجدت متابعات لـ «خالد بن الحارث»، فأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ثنا شعبة عن يَعلى بن عطاء به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٧٧) (٧٨٢٩ ـ ٧٨٣) من طريقين:

الأولى: من طريق القاسم بن سليم الصواف، قال: شهدت الواسطيين أبا بسطام شعبة بن الحجاج، وأبا معاوية هشيم بن بشير يحدثان عن يَعلى بن عطاء عن أبيه به.

الثانية: من طريق الحسين بن الوليد نا شعبة عن يَعلى بن عطاء عن أبيه به.

وقال البيهقي: ورويناه أيضاً من حديث خالد بن الحارث وأبي إسحاق الفزاري وزيد بن أبي الزرقا وغيرهم مرفوعاً، ورواه آدم بن أبي إياس ومسلم بن إبراهيم، وجماعة عن شعبة موقوفاً. إ.هـ.

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٣٦٦) (١٨٦٥) من طريق عصمة بن محمد بن فضالة بن عبيد الأنصاري، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عن النبي ﷺ قال..

وقال البزار: لا نعلم رواه عن يحيى بن سعيد إلا عصمة، وعصمة هذا قال فيه الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٩): متروك، وله طريق أخرى عند أبي نعيم في الحلية (٨/ ٢١٥).

ـ قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه التِّرمذي عن عبد الله بن عمرو قال: روى سن طريق عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة مرفوعاً وكذا أخرجه الطبراني، والبيهقي من رواية القاسم بن سليم عن شعبة مرفوعاً. وللبيهقي أيضاً من رواية الحسين بن الوليد عن شعبة مرفوعاً. قال ورويناً أيضاً من رواية أبي إسحاق الفزاري وزيد بن أبي الرها وغيرهم مرفوعاً. ورواية أبي إسحاق عند أبي يَعلى. وقال البخاري. في الأدب المفرد: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة فذكره موقوفاً. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه البزار وقال: تفرد به عصمة بن محمد الأنصاري عن يحيى بن سعيد. انتهى.

٨٥٥ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢١٥ ـ ٢١٦) في ترجمة أبي العباس الطوسي، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٥) للثعلبي في تفسيره من حديث أحمد بن غالب غلام الخليل بن أحمد ثنا محمد بن سلام السلمي ثنا محمد بن سماك الكوفي، عن حامد بن شريح، عن عطاء عن عائشة.

وقال ابن حجر: فيه أحمد بن محمد بن غالب غلام خليل، وهو كذاب. والحديث ذكره الهندي في كنز العمال (١٦/ ٤٧٦) (٤٥٥٢٨) وعزاه للحاكم في تاريخه.

ـ قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من طريق محمد بن السماك عن عابد بن شريح عن عطاء عن عائشة. وفيه أحمد بن محمد بن غالب غلام الخليل. وهو كذاب، ولكن رواه أبو نعيم في الحلية من وجه آخر عن سحنون السماك بلفظ «فإني أغفر لك» وبلفظ «فإني لا أغفر لك» انتهى.

٨٥٦ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٥) (١ـ٧)، وقال ابن حجر، لم أجده.

يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وفقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، ويبخل عليّ بماله؛ فبكى ـ رسول الله ﷺ ـ: وقال: «مَا مِنْ حَجَرٍ وَلاَ مَدَرٍ يَسْمَعُ هٰذَا إِلاَّ بَكَىٰ»، ثم قال للولد: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ، أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ» (٨٥٧)، وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال: «لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ حِينَ حَمَلَتْكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال: «لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حِينَ أَرْضَعَتْكَ حَوْلَيْنِ»؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال: «لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حِينَ أَسْهَرَتْ لَكَ لَيْلَهَا وَأَظْمَأَتْ نَهَارَهَا؟» قال: لقد جازيتها، قال: «مَا فَعَلْتَ؟» قال: حججت بها على عاتقي، قال: «مَا جَزَيْتَهَا وَلَوْ طَلْقَةً»[1] (٨٥٨). وعن ابن عمر أنه رأى رجلاً في الطواف يحمل أمه، ويقول [من الرجز]:

إِنِّي لَهَا مَطِيَّةٌ لا تُذْعَرُ ... إِذَا الرِّكَابُ نَفَرَتْ لاَ تَنْفِرُ

مَا حَمَلَتْ وَأَرْضَعَتْنِي أَكْثَرُ ... اللَّهُ رَبِّي ذُو الْجَلالِ الأَكْبَرُ[2]

تظنني جازيتها يا ابن عمر[3]؟ قال: لا، ولو زفرة واحدة (٨٥٩)، وعنه عليه الصلاة والسلام: «إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَلاَ يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٍ وَلاَ قَاطِعِ رَحِمٍ وَلاَ شَيْخٍ زَانٍ، وَلاَ جَارٌ إِزَارِهِ خُيَلاَءَ؛ إِنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ رَبِّ

---

٨٥٧ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٦) (٧٠٢)، وقال ابن حجر لم أجده. ثم قال: قلت: أخرجه البغوي في معجم الصحابة من طريق. وبيض له ولم يعزه، ولم يخرجه.

٨٥٨ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٦) (٧٠٣)، وقال ابن حجر: لم أجده.

٨٥٩ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٢) حديث رقم (١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٠٩) (٧٩٢٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٧) لابن المبارك في كتاب البر والصلة ـ كلهم من طريق شعبة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: كان ابن عمر...

وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن المبارك في البر والصلة: أخبرنا سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: كان ابن عمر يطوف بالبيت فرأى رجلاً ـ فذكره. وهذا إسناد صحيح، وأخرجه البيهقي في الشعب في الخامس والخمسين، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن آدم عن سعيد مختصراً. انتهى.

---

(١) قوله: «قال ما جزيتها ولو طلقة» في الصحاح الطلق وجع الولادة اهـ فالطلقة المرة منه (ع).

(٢) أنشده ابن عمر عن رجل يحمل أمه في الحج: شبه نفسه بالمطية تشبيهاً بليغاً، و«إذا الركاب نفرت» صفة لها، يعني أنه خافض لها جناح الذل من الرحمة، ولا يسأم منها كغيره، فإن حملها إياه وإرضاعها إياه أكثر من بره بها، وذعر يذعر كتعب يتعب: خاف وفزع، والمراد لازم الفزع والنفرة وهو الجزع والضجر وعدم إقراره على ظهره، ثم كبر لأنه شعار الحج من يوم النحر إلى آخر أيام التشريق.

(٣) قوله: «تظنني جازيتها يا ابن عمر» لعله ثم قال تظنني (ع).

الْعَالَمِينَ» (٨٦٠)، وقال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة[1]، وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل، ولا يناوله الخمر، ويأخذ الإناء منه إذا شربها، وعن أبي يوسف: إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد، وعن حذيفة أنه استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه وهو في صف المشركين، فقال: دعه يليه غيرك (٨٦١)، وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: ألاَّ تقوم إلى خدمتهما عن كسل، وسئل بعضهم فقال: ألاَّ ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر شزراً إليهما[2]، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن، وأن تترحم عليهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقوم بخدمة أودّائهما من بعدهما، فعن النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» (٨٦٢).

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير، ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: قاصدين الصلاح والبر، ثم فرطت منكم ـ في حال الغضب، وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر، أو لحمية الإسلام ـ هنة تؤدي إلى أذاهما، ثم أنبتم إلى الله واستغفرتم منها؛ فإن الله غفور، ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾: للتوابين، وعن

---

٨٦٠ ـ أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٤٩) من حديث محمد بن الفرات عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعاً «احذروا البغي...» وأعله بمحمد بن الفرات، وضعفه عن البخاري والنسائي وابن معين، ووافقهم، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣١٠) (٥٦٦٠) من طريق جابر الجعفي، عن أبي جعفر بن علي بن حسين عن جابر بن عبد الله... وجابر الجعفي هو أبو عبد الله الكوفي ضعيف؛ كما قال الحافظ في التقريب (١/ ١٢٣).

ـ وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن عدي من رواية محمد بن الفرات عن أبي إسحاق عن الحرث عن علي بهذا وأتم منه. وفيه مسيرة خمسمائة بدل ألف. ورواه الطبراني في الأوسط من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر عن جابر بن عبد الله فذكره بلفظ «ألف عام» وجابر ومحمد ابن الفرات متروكان. انتهى.

٨٦١ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٨) (٧٠٦)، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده، ولا يصح عن والد حذيفة أنه كان في صف المشركين؛ فإنه استشهد بأحد مع المسلمين بأيدي المسلمين خطأ. وهم يحسبونه من الكفار، كما في صحيح البخاري، لكن نحو القصة المذكورة، وردت لأبي عبيدة بن الجارح. إ.هـ.

٨٦٢ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٣٥١ ـ نووي) ـ كتا البر والصلة والآداب (٤٥) باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما (٤) (٢٥٥٢) (١٣)، من حديث ابن عمر، وفيه قصة.

ـ قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً، وفيه قصة. انتهى.

---

(١) قوله: «لا يذهب بأبيه إلى البيعة» في الصحاح: البيعة بالكسر للنصارى (ع).

(٢) قوله: «ولا تنظر شزراً إليهما» هو نظر الغضبان بمؤخر العين، كذا في الصحاح (ع).

سعيد بن جبير: هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير، وعن سعيد بن المسيب: الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة، ويجوز أن يكون هذا عامًا لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته، لوروده / ٢٠٠ ب على أثره.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما، وأن يؤتوا حقهم: وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد، وفقراء عاجزين عن الكسب، وكان الرجل موسراً: أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة، والشافعي لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب، وإن كانوا مياسير، أو لم يكونوا محارم: كأبناء العم، فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك، ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: وآت هؤلاء حقهم من الزكاة؛ وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق: هو تعهدهم بالمال، وقيل: أراد بذي القربى أقرباء رسول الله ﷺ.

التبذير: تفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف، وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة، وتذكر ذلك في أشعارها، فأمر الله بالنفقة في وجوهها بما يقرب منه ويزلف، وعن عبد الله: هو إنفاق المال في غير حقه، وعن مجاهد: لو أنفق مدا في باطل كان تبذيراً وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر، فقال له صاحبه: لا خير في السرف، فقال: لا سرف في الخير، وعن عبد الله بن عمرو: مر رسول الله ﷺ بسعد وهو يتوضأ فقال: «مَا هَذَا السَّرفُ يَا سَعْدُ»؟ قال: أوفي الوضوء سرف؟ قال: «نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلى نَهْرٍ جَارٍ» ح (٨٦٣) ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أمثالهم

---

٨٦٣ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ١٤٧) ـ كتاب الطهارة وسننها (١) ـ باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (٤٨) (٤٢٥)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٠) (٢٧٨٨) ـ باب في الطهارات (٢٠) ـ كلهم من طريق ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ مر بعد... وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١٧٣) إسناده ضعيف؛ لضعف حيي بن عبد الله وعبد الله بن لهيعة. والحديث عزاه الزيلعي وابن حجر لأبي يعلى الموصلي في مسنده، ولم أجده، فلعله من المفقود لا سيما أنه من مسند عبد الله بن عمرو، وهو مفقود، والله أعلم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى والبيهقي من حديثه. وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف. انتهى.

في الشرارة وهي غاية المذمة؛ لأنه لا شر من الشيطان، أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم؛ لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف، أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: فما ينبغي أن يطاع؛ فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله، وقرأ الحسن: إخوان الشيطان.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: فلا تتركهم غير مجابين إذا سألوك، وكان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء (٨٦٤). قوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدماً عليه، أي: فقل لهم قولاً سهلاً ليناً وعدهم وعداً جميلاً؛ رحمة لهم وتطييباً لقلوبهم، ابتغاء رحمة من ربك، أي: ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم، وإما أن يتعلق بالشرط، أي: وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك، فسمى الرزق رحمة، فردهم رداً جميلاً، فوضع الابتغاء موضع الفقد؛ لأن فاقد الرزق مبتغ له، فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبباً عنه، فوضع المسبب موضع السبب، ويجوز أن يكون معنى: (وإما تعرضنّ عنهم)؛ وإن لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة، ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك؛ لأن من أبي أن يعطى: أعرض بوجهه، يقال: يسر الأمر وعسر، مثل سعد الرجل ونحس[1] فهو مفعول، وقيل: معناه: فقل لهم رزقنا الله، وإياكم من فضله، على أنه دعاء لهم ييسر

---

٨٦٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٠): غريب. قلت: وأخرج ابن حبان في (١١/ ١٦٦) (٤٨٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٠)، من طريق حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان... الحديث وفيه «وكان لا يسئل شيئاً إلا أعطاه أو سكت».

وعند الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) (٧٧٦٣) من حديث علي قال: «كان النبي ﷺ إذا سُئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم. وإذا أراد ألا يفعل سكت...» وفيه قصة طويلة. قال الحافظ ابن حجر: وإسناده ضعيف.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن حبان والحاكم عن أنس: قال كان النبي ﷺ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت. وفيه قصة وفي الطبراني الأوسط عن علي ـ رضي الله عنه ـ «كان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم. وإذا أراد ألا يفعل سكت ولم يقل قط لشيء: لا. فذكر قصة، وإسناده ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله: «مثل سعد الرجل ونحس» في الصحاح: سعل الرجل بالكسر فهو سعيد: مثل سلم فهو سليم. وسعد بالضم فهو مسعود (ع).

عليهم فقرهم؛ كأن معناه: قولاً ذا ميسور، وهو اليسر[1]، أي: دعاء فيه يسر.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: فتصير ملوما عند الله؛ لأن المسرف غير مرضي عنده وعند الناس، يقول المحتاج: أعطى فلاناً وحرمني، ويقول المستغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك: إذا احتجت فندمت على ما فعلت، ﴿مَّحْسُورًا﴾: منقطعاً بك لا شيء عندك، من حسرة السفر إذا بلغ منه وحسره بالمسألة، وعن جابر: بينا رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال: إن أمي تستكسيك درعاً، فقال: «مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَظْهَرُ، فَعُدْ إِلَيْنَا»، فذهب إلى أمه فقالت له قل له: إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً، وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة (٨٦٥). وقيل: أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن[2]؛ فجاء عباس بن مرداس، وأنشأ يقول [من المتقارب]:

أَتَجعلُ نهبِي ونَهبَ الْعُبَيْـ ... ـدِ بينَ عُيينَةَ والأَقْرعِ؟
وَما كَانَ حصنٌ ولا حابِسٌ ... يفوقَانِ جدِّيَ فِي مجمعِ
ومَن تضعِ اليومَ لا يُرفعِ[3] ... ومَن كنتُ دونَ امرِىءٍ منْهُما

فقال: يا أبا بكر، اقطع لسانه عني، أعطه مائة من الإبل (٨٦٦)؛ فنزلت.

---

٨٦٥ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧١) (٧١٠)، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. قلت: ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٣٦) عن جابر بدون إسناد. انتهى.

٨٦٦ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٦٥) ـ كتاب الزكاة (١٢) ـ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام =

---

(١) قوله: «قولاً ذا ميسور وهو اليسر» في الصحاح: المعسور ضد الميسور. وهما مصدران. وقال سيبويه: هما صفتان (ع).

(٢) قوله: «مائة من الإبل وعيينة بن حصن» لعل بعده سقطاً تقديره: مائة.

(٣) للعباس بن مرداس رضي الله عنه يخاطب النبي ﷺ، روي أنه أعطى كلا من الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل تأليفاً لقلوبهما، فأنشأ العباس ذلك، فرفعه أبو بكر للنبي ﷺ فقال: اقطعوا عني لسانه، ففزع وفزع أناس وإنما أراد إعطاءه تأليفاً لقلبه أيضاً. والاستفهام للتعجب. ويحتمل أنه للإنكار، لكنه بعيد من الصحابي، أي: أتقسم نهبي ونهب العبيد فرسي بين هذين، والحال أن أبويهما ما كانا يفوقان أبي مرداس بمنع الصرف للضرورة. وقد يروى «العبيد» مصغراً. ويروى بدله «جدي» ويروى «شيخي في مجمع» من مجامع الحرب، وأنا لست أقل من واحد منهما، فنحن سواء أصلاً وفرعاً، فكيف تفاوت بيننا الآن؟ مع أن من تخفض قدره لا يرتفع عمره. وروي «منهمو» أي من الأربعة. وروي «ومن يخفض» مبنيا للمجهول. وفي ذكر حصن وحابس بعد عيينة والأقرع: لف ونشر مرتب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

ثم سلى رسول الله ﷺ عما كان يرهقه من الإضافة، بأن ذلك ليس لهوان منك عليه، ولا لبخل به عليك؛ ولكن لأن مشيئته في بسط الأرزاق وقدرها[1] تابعة للحكمة والمصلحة، ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر الله الذي الخزائن في يده، أما العبيد فعليهم أن يقتصدوا، ويحتمل أنه ـ عز وعلا ـ بسط لعباده أو قبض؛ فأنه يراعي أوسط الحالين، لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده، ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه، فاستنوا بسنته.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

قتلهم أولادهم: هو وأدهم بناتهم[2]، كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الإملاق، فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم، وقرئ (خشية): بكسر الخاء، وقرئ / ١٢٠١ (خطأ) وهو الإثم، يقال: خطىء خطأ، كأثم إثماً، وخطأ وهو ضد الصواب، اسم من أخطأ، وقيل: هو والخطأ كالحذر والحذر، و «خطأ» بالكسر والمد، و «خطاء» بالفتح والمد، و «خطأ» بالفتح والسكون، وعن الحسن: «خطا» بالفتح وحذف الهمزة كالخب، وعن أبي رجاء: بكسر الخاء غير مهموز.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَـٰحِشَةً﴾: قبيحة زائدة على حد القبح، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: وبئس طريقاً طريقه، وهو

= (٤٦) (١٠٦٠/١٣٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩)؛ وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٠٦) وقال ابن حجر: وكذا ذكره موسى بن عقبة والواقدي وابن سعد، وليس في شيء من فوقهم أن المخاطب بذلك كان أبا بكر.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه مسلم من رواية عتبة بن رفاعة بن رافع عن رافع بن خديج قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل. وأعطي عباس بن مرداس دون ذلك. فقال عباس ـ فذكر الشعر. قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة» وأخرجه ابن إسحاق في المغازي حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره ـ فذكر القصة وقال في آخرها: اذهبوا فاقطعوا لسانه. فزادوه حتى رضي» وكذا ذكره موسى بن عقبة والواقدي وابن سعد، وليس في شيء من عرفهم أن المخاطب بذلك كان أبا بكر. انتهى.

---

(١) قوله: «في بسط الأرزاق وقدرها» أي تضيقها. أفاده الصحاح (ع).
(٢) قوله: «هو وأدهم بناتهم» وأد البنت: دفنها في القبر وهي حية، كما في الصحاح (ع).

أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب، والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله[1].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا بإحدى ثلاث: إلا بأن تكفر؛ أو تقتل مؤمناً عمداً، أو تزني بعد إحصان، ﴿مَظْلُومًا﴾: غير راكب واحدة منهن، ﴿لِوَلِيِّهِ﴾: الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه، فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه، ﴿سُلْطَانًا﴾: تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه، أو حجة يثب بها عليه، ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ الضمير: للولي، أي: فلا يقتل غير القاتل، ولا اثنين والقاتل واحد، كعادة الجاهلية: كان إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة، حتى قال مهلهل حين قتل بحير بن الحارث بن عباد: بؤ بشسع نعل كليب[2]؛ وقال [من الرجز]:

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُلَيْبٍ غُرَّهْ حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلُ آلَ مُرَّهْ[3]

وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن بواء، وقيل: الإسراف المثلة، وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة: «فلا يسرف»: بالرفع على أنه خبر في معنى الأمر، وفيه مبالغة ليست في الأمر، وعن مجاهد: أن الضمير للقاتل الأول، وقرئ: «فلا تسرف»: على خطاب الولي أو قاتل المظلوم، وفي قراءة أبيّ: «فلا تسرفوا»، ردّه على: ولا تقتلوا؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾: الضمير إما للولي، يعني: حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك، وبأن الله قد نصره[4] بمعونة السلطان. وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق، فلا يبغ ما وراء حقه، وإما للمظلوم؛ لأن الله ناصره، وحيث أوجب القصاص بقتله، وينصره في الآخرة بالثواب، وإما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله؛ فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف.

---

(١) قوله: «وهو الصهر الذي شرعه الله» أي التزوج. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «بؤ بشسع نعل كليب» في الصحاح يقال بؤ به أي كن ممن يقتل به وفيه البواء: السواء. وفيه الشسع: واحد شسوع النعل التي تشد إلى زمامها. وفيه الغرة: العبد أو الأمة (ع).

(٣) الغرة: الرقيق، يعني: كل قتيل قتلناه في هذه القبيلة ليس كفؤاً لمن قتلوه منا، حتى يصل قتلنا آل مرة فهم كفؤه.
ينظر: جمهرة اللغة ص (١٢٤)، الأغاني (٥/ ٥٢)، وبلا نسبة في لسان العرب (غرر)، تاج العروس (غرر)، مقاييس اللغة (٤/ ٣٨١)، (كتاب العين (٤/ ٣٤٧).

(٤) قوله: «وبأن الله قد نصره» لعله أو أن (ع).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن، وهي حفظه عليه وتثميره، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي: مطلوباً يطلب من المعاهد ألاَّ يضيعه ويفي به[1]، ويجوز أن يكون تخييلاً، كأنه يقال للعهد: لم نكثت؟ وهلا وفى بك؟ تبكيتاً للناكث، كما يقال للموؤدة: «بأي ذنب قتلت؟» ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولاً.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

وقرئ: ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾: بالضم والكسر، وهو القرسطون[2]، وقيل: كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسن عاقبة، وهو تفعيل، من آل إذا رجع، وهو ما يؤول إليه.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْفُ﴾: ولا تتبع، وقرئ: «ولا تقف»، يقال: قفا أثره وقافه، ومنه: القافة، يعني: ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل، كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال، والمراد: النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولاً ظاهراً؛ لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده، وعن ابن الحنفية: شهادة الزور، وعن الحسن: لا تقف أخاك المسلم إذا مر بك، فتقول: هذا يفعل كذا، ورأيته يفعل، وسمعته، ولم تر ولم تسمع، وقيل: القفو شبيه بالعضيهة[3]، ومنه الحديث: «مَنْ قَفَى مُؤْمِناً بِمَا لَيْسَ فِيهِ حَبَسَهُ اللَّهُ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ[4] حَتَّى يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ» (٨٦٧)؛ وأنشد [من الطويل]:

---

٨٦٧ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٢) (٧١٢)، وقال ابن حجر: لم أره بهذا اللفظ مرفوعاً. =

---

(١) قال محمود: «أي يطلب من المعاهد أن يفي به ولا ينكثه... إلخ» قال أحمد: كلام حسن إلا لفظة التخييل فقد تقدم إنكارها عليه، وينبغي أن يعوض بالتمثيل. والظاهر التأويل الأول، ويكون المجرور الذي هو «عنه» حذف تخفيفاً، وقد ذكر في بقية الآية ﴿كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ والله أعلم. وبعضد تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها فيمن وصلها وقطعها. وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح، والله الموفق.

(٢) قوله: «بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون» أي القبان، كذا في النسفي (ع).

(٣) قوله: «وقيل القفو شبيه بالعضيهة» في الصحاح العضيهة البهتة، وهي الإفك والبهتان (ع).

(٤) قوله: «حبسه الله في ردغة الخبال» في الصحاح الردغة ـ بالتحريك ـ: الماء والطين والوحل الشديد =

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العَرانِينِ ساكِنٌ بِهِنَّ الحَياءُ لاَ يُشِعْنَ التَّقافِيا (١)

= قلت: وأخرج أبو داود في سننه (٣/ ٣٠٥) ـ كتاب الأقضية ـ باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها ـ (٣٥٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧)، كلاهما من طريق عمارة بن غزية عن يحيى بن راشد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من حالت شفاعته...» وفيه «ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال».

وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: وفي ذلك نظر؛ فإن «عمارة بن غزية» وثقه أحمد وأبو زرعة والعجلي، وقال: يحيى بن معين: صالح، وقال أبو حاتم: ما بحديثه بأس، كان صدوقاً. وقال النسائي: ليس به بأس، فالحديث حسن فحسب، والله تعالى أعلم.

فائدة: وقع تصحيف في المستدرك في اسم الصحابي، فوقع هناك «عبد الله بن عمرو» وكذلك عند الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٣) وابن حجر وليس كذلك، وإنما هو «عبد الله بن عمر»؛ فإن يحيى بن راشد لم يرو عن عبد الله بن عمرو ألبتة، وإنما يروى عن «عبد الله بن عمر» راجع تهذيب الكمال (٣١/ ٢٩٨) (٦٨٢٢). وله شاهد عند الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٨٨) (١٣٤٣٥) من حديث ابن عمر أيضاً مرفوعاً: «من قال سبحان الله والحمد لله... وفيه: «ومن بهت مؤمناً أو مؤمنة حبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة حتى يخرج مما قال، وليس بخارج».

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٩٤): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الطوسي وهو ثقة. ووجدته عند أحمد أيضاً في المسند (٢/ ٨٢) من حديث ابن عمر مرفوعاً: «ومن قفى مؤمناً أو مؤمنة، حبسه الله في ردغة الخبال...» وفي الباب حديث معاذ بن أنس. أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (ص ٢٣٩/ ٦٨٦) من طريق يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ .. فذكره.

ومن طريق ابن المبارك أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٤١). والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٩٤) (٤٣٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٠٩) (٧٦٣١)، وإسماعيل بن يحيى المعافري قال الحافظ في التقريب (١/ ٧٥): مجهول. ويحيى بن أيوب قال الحافظ: صدوق ربما أخطأ. وعبد الله بن سليمان قال الحافظ: صدوق يخطئ.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أره بهذا اللفظ مرفوعاً؛ وإنما ذكره أبو عبيد في الغريب من قول حسان بن عطية، فقال: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عنه بهذا. وروى أحمد والطبراني من رواية معاذ بن أنس ـ رفعه: «من قفا مؤمناً بما ليس فيه يريد شينه به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وفي مسند الشاميين للطبراني من طريق مطر الوراق، عن عطاء الخراساني، عن نافع، عن ابن عمر: «من قذف مؤمناً أو مؤمنة، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج» وهو عند أبي داود من رواية يحيى بن راشد عن ابن عمر بلفظ: «من قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج. وهو يخرج مما قال» وأخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «من قال في مؤمن ما ليس فيه، حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج». انتهى.

وكذلك الردغة بالتسكين. وفيه الخبال: العناء والفساد وأما الذي في الحديث من قفا مؤمناً بما ليس فيه وقفه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يجيء بالمخرج منه، فيقال: هو صديد أهل النار.

(١) يصف نساء بأنهن جميلات مثل الدمى، جمع دمية بالضم، وهو الصنم والصورة من العاج المرصعة =

أي: التقاذف، وقال الكميت [من الوافر]:

ولاَ أَرْمِي البَرِيَّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... ولاَ أَقْفُو الحَوَاصِنَ إنْ قُفِينَا[1]

وقد استدل به «بطل الاجتهاد ولم يصح؛ لأن ذلك نوع من العلم، فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم، وأمر بالعمل به، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد؛ كقوله [من الكامل]:

.... والعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَّامِ[2]

= بالجواهر والشم؛ جمع شماء كحمر وحمراء، والعرانين: الأنوف، أي مرتفعات الأنوف كناية عن شرفهن وارتفاع قدرهن. أو كناية عن كونهن كرائم حرائر؛ لأن انخفاض الأنف خاص بالعبيد والإماء. وشبههن بالبيوت. وشبه الحياء بقوم يسكونها على طريق المكنية والسكنى تخييل لذلك، وهو كناية ومبالغة في ملازمة الحياء لهن، لا يشعن: أي لا يظهرن التقافي، أي المتابعة بالقذف، من تقفوته إذا اتبعته بالغيبة. وفي إشاعته: كناية عن نفيه، لأنها لازمة له، حيث إنه لا يكون إلا بين اثنين فأكثر.

(١) يقال: حصنت المرأة بالضم حصانة، فهي حاصن وحصناء وحصان. والحواصن: جمع حاصن: أي عفت فهي عفيفة، يقول: لا أتهم البريء بشيء زور، بل بذنب محقق. والظاهر أن هذا في معنى الاستثناء المنقطع؛ لأن البريء ما دام بريئاً لا ذنب له، ولا أتبع العفائف وأتكلم فيهن بفحش ما دمن عفائف إن قفاهن الناس، فتكلموا فيهن فكيف إذا لم يتكلم فيهن أحد؟.

(٢) لولا مراقبة العيون أريننا ... مقل المها وسوالف الآرام
هل ينهينك أن قتلن مرقشاً ... أو ما فعلن بعروة بن حزام؟
ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

لجرير بن عطية يخاطب نفسه على طريق التجريد، يقول: لولا مراقبة النساء للعيون، أي الرقباء المتطلعين علينا، لبرزن لنا وأريننا عيونهن التي هي كعيون بقر الوحش، فمقل المها: استعارة مصرحة، وكذلك سوالف الآرام. والسالفة: مقدم العنق وصفحته. والآرام: جمع رئم بالكسر والهمز، وهو الغزال الأبيض، وأصله «أرآم» بهمز ممدود بعد الراء وزن أحمال، فقلب إلى ما قبلها. ويجوز أنه جمع ريم بالفتح وهو الغزال الأبيض، فهمز وقلب. وهل بمعنى قد. أو للتقرير. أي: أنه ينهاك عنهن مقتلهن مرقشاً العاشق المشهور. أو فعلهن بعروة العاشق أيضاً. وذم: فعل أمر، كأنه تذكر محبوبته في تلك الديار وتلك الأيام، فقال: ذم المنازل كلها حال كونها بعد، أي: غير منزلة اللوى. أو بعد مجاوزتك منزلة اللوى بلازم. واللوى: موضع بعينه من الرمل الملتوي، وذم الحياة كلها بعد حياتنا في تلك الأيام، أو ذم مدة الحياة كلها بعد تلك الأيام السابقة، وأشار لها بما للعقلاء لعظمتها عنده، ولأن تخصصه بالعقلاء طارئ في الاستعمال كما قيل ويجوز أن بعد ظرف المنازل وللعيش وبعض النحاة جعل «ذم» مبنيا للمجهول، وما بعده مرفوع به على النيابة.
ينظر: ديوانه ص ٩٩٠ (وفيه «الأقوام» مكان «الأيام»)، وتخليص الشواهد ص ١٢٣، وخزانة الأدب ٥/ ٤٣٠، وشرح التصريح ١/ ١٢٨، وشرح شواهد الشافية ص ١٦٧، وشرح المفصل لابن يعيش، ولسان العرب (أولى)، والمقاصد النحوية ١/ ٤٠٨، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٣٤، وشرح الأشموني ١/ ٦٣، وشرح ابن عقيل ص ٧٢، والمقتضب ١/ ١٨٥.

و ﴿عَنْهُ﴾: في موضع الرفع بالفاعلية؛ أي: كل واحد منها كان مسؤولاً عنه، فمسؤول: مسند إلى الجار والمجرور، كالمغضوب في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، يقال للإنسان: لم سمعت ما لم يحل لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟ وقرئ: (والفؤاد): بفتح الفاء والواو، قلبت الهمزة واواً بعد الضمة في الفؤاد؛ ثم استصحب القلب مع الفتح.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿مَرَحًا﴾: حال، أي: ذا مرح، وقرئ: (مرحاً)، وفضل الأخفش المصدر على اسم الفاعل؛ لما فيه من التأكيد، ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تجعل فيها خرقاً[1] بدوسك لها وشدة وطأتك، وقرئ: «لن تخرُق»؛ بضم الراء، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾: بتطاولك، وهو تهكم بالمختال، قرئ: «سيئة وسيئه»، على إضافة سيء إلى ضمير كل، و «سيئاً» في بعض المصاحف، و «سيئات»، وفي قراءة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «كان شأنه».

فإن قلت: كيف قيل: سيئه مع قوله مكروهاً؟

قلت: السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات، فلا اعتبار بتأنيثه، ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئاً؛ ألا تراك تقول: الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة، ٢٠١ ب فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث.

فإن قلت: فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن؛ ولذلك قرأ من قرأ: (سيئه): بالإضافة، فما وجه من قرأ سيئة؟

قلت: كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿لَّا تَجْعَل مَّعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: إلى هذه الغاية؛

---

(١) قال محمود: «معناه لن تجعل فيها خرقاً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية في الانزجار عنها، ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية، وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا، بينا أحدهم قد عرف مسألتين أو أجلس بين يديه طالبين، أو شدا طرفاً من رياسة الدنيا، إذ هو يتبختر في مشيه ويترجع، ولا يرى أنه يطاول الجبال، ولكن يحك بيافوخه عنان السماء، كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون، وماذا يفيده أن يقرأ القرآن أو يقرأ عليه، وقلبه عن تدبره على مراحل، والله ولي التوفيق.

وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه، وعن ابن عباس: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى، أولها؛ لا تجعل مع الله إلهاً آخر، قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥] وهي عشر آيات في التوراة، ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك؛ لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه، وإن بذ فيها الحكماء[1] وحك بيافوخه السماء، وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم، وهم عن دين الله أضل من النعم.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: خطاب للذين قالوا: (الملائكة بنات الله)، والهمزة للإنكار، يعني: أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ أدونهم وهي البنات؟ وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم؛ فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب، ويكون أردأها وأدونها للسادات، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾: بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام، ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم؛ حيث تجعلون له ما تكرهون، ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم[2] أدون خلق الله وهم الإناث.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: يجوز أن يزيد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات؛ لأنه مما صرفه وكرر ذكره، والمعنى: ولقد صرفنا القول في هذا المعنى، أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير، ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد، «ولقد صرفناه»، يعني: هذا المعنى في مواضع من التنزيل، فترك الضمير؛ لأنه معلوم، وقرئ: «صرفنا»: بالتخفيف، وكذلك، ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾؛ قرئ مشدداً ومخففاً، أي: كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم، ﴿فما يزيدهم إلا نفورا﴾: عن الحق وقلة طمأنينة إليه، وعن سفيان: كان إذا قرأها قال: زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

---

(١) قوله: «وإن بذ فيها الحكماء» في الصحاح «بذه» غلبه وفاقه (ع).

(٢) قوله: «وهم أعلى خلق الله وأشرفهم» هذا على مذهب المعتزلة. أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل من الملاك (ع).

قرئ: «كما تقولون»؛ بالتاء والياء، و ﴿إِذًا﴾: دالة على أن ما بعدها، وهو (لابتغوا): جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ «لو»، ومعنى ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلاً بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض؛ كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقيل: لتقربوا إليه؛ كقوله: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) [الإسراء: ٥٧]. ﴿وَتَعَـٰلَوْا﴾: في معنى: تعالياً، والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة، ومعنى وصف العلو بالكبر: المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

والمراد أنها تسبح له بلسان الحال[1]؛ حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته، فكأنها تنطلق بذلك؛ وكأنها تنزه الله ـ عز وجل ـ مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وهذا التسبيح مفقوه معلوم؟

قلت: الخطاب للمشركين، وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله؛ إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم، فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا؛ لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه، فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق.

فإن قلت: من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة[2] والثقلان، وقد عطفوا

---

(١) قال محمود: «المراد تسبيحها بلسان الحال من حيث تدل على الصانع... إلخ» قال أحمد: ولقائل أن يقول: فما يصنع بقوله ﴿كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم وإشراكهم، وإنما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون، والظاهر أن المخاطب المؤمنون. وأما عدم فقهنا للتسبيح الصادر من الجمادات، فكأنه ـ والله أعلم ـ من عدم العمل بمقتضى ذلك، فإن الإنسان لو تيقظ حق التيقظ إلى أن النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره، وعمر خاطره بهذا الفهم، لكان ذلك يشغله عن القوت فضلاً عن فضول الكلام والأفعال، والعاكف على الغيبة التي هي فاكهتنا في زماننا هذا، لو استشعر حال إفاضته فيها أن كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذي يلقلقه في سخط الله تعالى عليه، مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وإرهاب جبروته، وتيقظ لذلك حق التيقظ، لكاد أن لا يتكلم بقية عمره، فالظاهر والله أعلم أن الآية إنما وردت خطاباً على الغالب في أحوال الغافلين وإن كانوا مؤمنين، والله الموفق. فالحمد لله الذي كان حليماً غفوراً.

(٢) عاد كلامه. قال: إن قلت «من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم نقلي عنه أنه يأبى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة في النحل، ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد وعدم الامتناع على القدرة، ليكون متناولاً =

على السموات والأرض، فما وجهه؟

قلت: التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه، وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾: ذا ستر؛ كقولهم: سيل مفعم ذو إفعام، وقيل: هو حجاب لا يرى فهو مستور، ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب، فهو مستور بغيره، أو حجاب يستر أن يبصر، فكيف يبصر المحتجب به، وهذه حكاية لما كانوا يقولونه: (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) [فصلت: ٥] كأنه قال: وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهة أن يفقهوه، أو لأن قوله: (وجعلنا على قلوبهم أكنة): فيه معنى المنع من الفقه، فكأنه قيل: ومنعناهم أن يفقهوه، يقال: وحد يحد وحدا وحدة؛ نحو: وعد يعدو عدا وعدة، و ﴿وَحْدَهُۥ﴾: من باب رجع عوده على بدئه، وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال، أصله: يحدو حده بمعنى واحداً؛ وحده، والنفور: مصدر، بمعنى: التولية، أو جمع نافر كقاعد وقعود، أي: يحبون أن تذكر معه آلهتهم؛ لأنهم مشركون، فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا، ﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: من الهزوء بك وبالقرآن، ومن اللغو: كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار، ورجلان منهم عن يساره، فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار، و (به): في موضع / ٢٠٢ / الحال؛ كما تقول: يستمعون بالهزوء، أي: هازئين، و ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾: نصب بأعلم، أي: أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: وبما يتناجون به، إذ هم ذوو نجوى، ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: بدل من إذ هم، ﴿مَّسْحُورًا﴾: سحر فجنّ، وقيل: هو من السحر وهو الرئة، أي: هو بشر مثلكم، ﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون، ﴿فَضَلُّوا۟﴾: في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقاً يسلكه فلا يقدر عليه، فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع.

= للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ، وقد يكون أراد ثم المجاز، والله الموفق.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾

لما قالوا: أئذا كنا عظاماً قيل لهم: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾: فرد قوله: كونوا، على قولهم: كنا، كأنه قيل: كونوا حجارة أو حديداً ولا تكونوا عظاماً؛ فإنه يقدر على إحيائكم، والمعنى: أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم، ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاماً يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحي، بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره، فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر ـ وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديداً مع أن طباعها الجسارة والصلابة ـ لكان قادراً أن يردكم إلى حال الحياة، ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني: أو خلقاً مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه؛ فإنه يحييه، وقيل: ما يكبر في صدورهم الموت، وقيل: السموات والأرض، ﴿فسينغضون﴾: فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاء.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز، والمعنى: يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون؛ وقوله ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: حال منهم، أي: حامدين، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث؛ كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع، ستركبه وأنت حامد شاكر، يعني: أنك تحمل عليه وتفسر قسراً حتى أنك تلين لين المسمح[1] الراغب فيه الحامد عليه، وعن سعيد بن جبير: ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، ﴿وَتَظُنُّونَ﴾: وترون الهول؛ فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا، وتحسبونها يوماً أو بعض يوم، وعن قتادة: تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾: وقل للمؤمنين، ﴿يَقُولُواْ﴾: للمشركين الكلمة ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: وألين

(١) قوله: «المسمح» في الصحاح «أسمحت قروفته» أي ذلت نفسه وتابعته على الأمر (ع).

ولا يخاشنوهم؛ كقوله: وجادلهم بالتي هي أحسن، وفسر التي هي أحسن بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، يعني: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يقولوا لهم: إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر، وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: اعتراض، يعني: يلقي بينهم الفساد، ويغري بعضهم على بعض؛ ليقع بينهم المشارة والمشاقة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: ربًا موكولاً إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه؛ وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة؛ وذلك قبل نزول آية السيف، وقيل: نزلت في عمر ـ رضي الله عنه ـ: شتمه رجل فأمره الله بالعفو، وقيل: أفرط إيذاء المشركين للمسلمين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت، وقيل: الكلمة التي هي أحسن: أن يقولوا يهديكم الله، يرحمكم الله، وقرأ طلحة: «ينزغ»، بالكسر، وهما لغتان، نحو: يعرشون ويعرشون[1].

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

هو رد على أهل مكة في إنكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبيًا، وأن تكون العراة الجوّع أصحابه، كصهيب وبلال وخباب وغيرهم، دون أن يكون ذلك في بعض أكابرهم وصناديدهم، يعني: وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم، وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾: دلالة على وجه تفضيله، وهو أنه خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم؛ لأن ذلك مكتوب في زبور داود؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وهم محمد وأمته.

فإن قلت: هلا عرّف الزبور كما عرّف في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾؟.

قلت: يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس، والفضل وفضل، وأن يريد: وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب، وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله ﷺ من الزبور، فسمى ذلك زبوراً؛ لأنه بعض الزبور، كما سمى بعض القرآن قرآناً.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولو مثل بـ«يَنْطِحُ»، و«يَنْطَحُ» وكأنه يعني من حيث إن لام كل منهما حرف حلق، وليس بطائل. انتهى. الدر المصون.

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

هم الملائكة، وقيل: عيسى ابن مريم، وعزير، وقيل: نفر من الجن؛ عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا، أي: ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه، و ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، و ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: صفته، و ﴿يَبْتَغُونَ﴾: خبره، يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله تعالى، و ﴿أَيُّهُمْ﴾: بدل من واو يبتغون، وأي: موصولة، أي: يبتغي من هو أقرب منهم وأزلق الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب، أو ضمن يبتغون / ٢٠٢ ب الوسيلة معنى: يحرصون، فكأنه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله؛ وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح، ويرجون، ويخافون، كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة؟ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ﴾: حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرّب ونبيّ مرسل، فضلاً عن غيرهم.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾: بالموت والاستئصال، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾: بالقتل وأنواع العذاب، وقيل: الهلاك للصالحة، والعذاب للطالحة، وعن مقاتل: وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها: أما مكة فيخربها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، والجبال بالصواعق والرواجف، وأما خراسان فعذابها ضروب، ثم ذكرها بلداً بلداً، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة، و «أن» الأولى منصوبة، والثانية مرفوعة، تقديره: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين، والمراد: الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك، وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال، فالمعنى: وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك، وقالوا: هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها، واستوجبوا العذاب المستأصل، وقد عزمنا أن نؤخر

أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة، ثم ذكر من تلك الآيات ـ التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا ـ واحدة: وهي ناقة صالح؛ لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم ووارِدهم، ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة، وقرئ: «مبصرة»: بفتح الميم، ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: فكفروا بها، ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾: إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى: لا نرسلها، ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له، فإن لم يخافوا وقع عليهم، وإن أراد غيرها فالمعنى: وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفاً وإنذاراً بعذاب الآخرة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾: واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش، يعني: بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم؛ وذلك قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢] وغير ذلك، فجعله كأن قد كان ووجد، فقال: أحاط بالناس على عادته في إخباره، وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبي ﷺ في العريش مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ» ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (٨٦٨) ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه، فقد كان يقول حين ورد ماء بدر: «واللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ» (٨٦٩)، وهو يومىء إلى الأرض ويقول:

---

٨٦٨ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٤): غريب بهذا اللفظ. وقال ابن حجر: لم أجده هكذا.
قلت: وأخرج البخاري بعضه في صحيحه (٨/ ١٣) ـ كتاب المغازي (٦٤) باب قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم...﴾ حديث رقم (٣٩٥٣) من حديث ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم أَنْشُدُكَ عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تُعبد» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك...
لم أجده هكذا، فأما أوله ففي البخاري عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبته يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعد اليوم». فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ انتهى.

٨٦٩ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) ـ كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب غزوة بدر (٣٠) حديث رقم (٨٣/ ١٧٧٩) من حديث أنس قال: إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان وفيه «هذا مصرع فلان» قال: ويضع يده على الأرض، ههنا وههنا. قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: =

«هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ»، فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أمر يوم بدر وما أري في منامه من مصارعهم، فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾[1] جعلوها سخرية وقالوا: إن محمداً يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول: ينبت فيها الشجر، وما قدر الله حق قدره. من قال ذلك، وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار! فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل، إذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار، وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر بإحماء النار فلا تضرها، ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة ناراً فلا تحرقها، فما أنكروا أن يخلق[2] في النار شجرة لا تحرقها، والمعنى: أن الآيات إنما يرسل بها تخويفاً للعباد، وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر، فما كان ما ﴿أَرَيْنَاكَ﴾: منه في منامك بعد الوحي إليك، ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: لهم؛ حيث اتخذوه سخريًا وخوّفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم، ثم قال فيهم: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات، وقيل: الرؤيا: هي الإسراء[3]، وبه تعلق من يقول: كان الإسراء في المنام، ومن قال: كان في اليقظة، فسر الرؤيا بالرؤية، وقيل: إنما سماها رؤيا على قول المكذبين؛ حيث قالوا له: لعلها رؤيا رأيتها، وخيال خيل إليك؛ استبعاداً منهم، كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة؛ نحو قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] وقيل: هي رؤياه أنه سيدخل مكة، وقيل: رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.

= أخرجه مسلم من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ههنا». قال: فما ماط أحد عن موضع يده. انتهى.

---

(١) قال محمود: «افتتانهم بالشجرة أنهم حين سمعوا بقوله؛ إن شجرة الزقوم... إلخ» قال أحمد: والعمدة في ذلك أن النار لا تؤثر إحراقاً في شيء، ولكن الله تعالى أجرى العادة أنه يخلق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الأجسام، فإذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فلله تعالى أن لا يفعل الحرق في الشجرة التي في أصل الجحيم.

(٢) قوله: «فما أنكروا أن يخلق» عبارة النسفي: فجاز أن يخلق (ع).

(٣) عاد كلامه. قال: «وأما الرؤيا فقيل الإسراء، وتعلق من جعله مناماً بهذه الآية. وقيل: إنما سماها رؤيا على زعم المكذبين... إلخ» قال أحمد: ويبعد ذلك قوله تعالى ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ وقوله ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ والله أعلم.

فإن قلت: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟

قلت: لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة؛ لأن الشجرة لا ذنب لها/ ٢٠٣ أ. حتى تلعن على الحقيقة؛ وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز، وقيل: وصفها الله باللعن؛ لأن اللعن الإبعاد من الرحمة، وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة، وقيل: تقول العرب لكل طعام مكروه ضار: ملعون، وسألت بعضهم فقال: نعم الطعام الملعون: القشب الممحوق[1]. وعن ابن عباس: هي الكشوث التي تتلوى بالشجر يجعل في الشراب، وقيل: أبو جهل، وقرئ: «والشجرة الملعونة»: بالرفع، على أنها مبتدأ محذوف الخبر، كأنه قيل: والشجرة الملعونة في القرآن كذلك.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿طِينًا﴾: حال، إما من الموصول والعامل فيه: أسجد، على: أأسجد له وهو طين، أي: أصله طين، أو من الراجع إليه من الصلة على: أأسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً، ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: الكاف: للخطاب، و ﴿هَٰذَا﴾: مفعول به، والمعنى: أخبرني عن هذا، ﴿الذي كرمته﴾ ﴿عَلَيَّكُمْ﴾ أي: فضلته، لم كرمته عليّ وأنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك، ثم ابتدأ فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾: واللام: موطئة للقسم المحذوف، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: لأستأصلنهم بالإغواء، من احتنك الجراد الأرض: إذا جرد ما عليها أكلاً، وهو من الحنك؛ ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم: أحنك الشاتين، أي: أكلهما.

فإن قلت: من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو الغيب؟

قلت: إما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به، أو خرجه من قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها، أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني، وقيل: قال ذلك لما

---

(١) قوله: «الطعام الملعون القشب الممحوق» الخلط الضار يمزج بالطعام أو الشراب كالسم. والممحوق المذاب حتى يذهب عينه. أفاده الصحاح. وفيه «الكشوث» نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، قال الشاعر:

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر (ع)

عملت وسوسته في آدم، والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة، ﴿ٱذْهَبْ﴾: ليس من الذهاب للذي هو نقيض المجيء؛ إنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته خذلاناً وتخلية، وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾، كما قال موسى ـ عليه السلام ـ للسامري: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧].

فإن قلت: أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك؟

قلت: بلى؛ ولكن التقدير: فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك، ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل: جزاؤكم، ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات، وانتصب: ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾، بما في ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ من معنى: تجازون، أو بإضمار تجازون، أو على الحال؛ لأن الجزاء موصوف بالموفور، والموفور الموفر، يقال: فر لصاحبك عرضه فرة.

استفزّه: استخفه، والفز: الخفيف، ﴿وَأَجْلِبْ﴾: من الجلبة وهي الصياح[1]، والخيل: الخيالة، ومنه قول النبي ﷺ: «يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي» (٨٧٠)، والرجل: اسم جمع للراجل؛

---

٨٧٠ ـ أخرجه الحازمي في كتابه «الناسخ والمنسوخ» (ص ٤٦٦) ـ باب المثلة ونسخها من طريق حمزة عن عبد الكريم، وسئل عن أبوال الإبل فقال: حدثني سعيد بن جبير عن المحاربين فقال: كان ناس أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: نبايعك على الإسلام فبايعوه وهم كذبة... وذكر قصة وفيها فأمر رسول الله ﷺ فنودي في الناس «يا خيل الله اركبي فركبوا لا ينتظر فارس فارساً...».
والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٨٦ ـ ١٨٧) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) موقوفاً على علي بن أبي طالب. وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وعزاه ابن حجر في تخريج الكشاف لابن عائذ في المغازي عن الوليد بن مسلم عن سعيد ابن بشير عن قتادة قال: «بعث رسول الله ﷺ يعني يوم قريظة يوم الأحزاب منادياً ينادي «يا خيل الله اركبي» وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٥) للواقدي في كتاب الردة من قول خالد بن الوليد. وقال: وعجيب من السهيلي كيف عزا هذه اللفظة لمسلم، ذكره في الروض الآنف، في أول غزوة حنين... وقال: وأما أبو داود فإنه قال في كتاب الجهاد في سننه ـ باب النداء عند النفير «يا خيل الله اركبي» ثم روى بسنده عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ سمى خيلنا، خيل الله» وفيه نظر لمن تأمله. فقال ابن حجر: فكأنه لم يتجه له مطابقة الحديث للترجمة، وهو ظاهر هنا؛ لأن المراد صحة هذه الإضافة.
أخرجه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ من طريق أبي حمزة السكري عن عبد الكريم: حدثني سعيد بن جبير عن قصة المحاربين قال: «كان ناس أتوا النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على الإسلام ـ =

---

(١) قوله: «من الجلبة وهي الصياح» في الصحاح: جلب على فرسه وأجلب عليه: صاح به من خلفه واستحثه للسبق اهـ (ع).

ونظيره: الركب والصحب، وقرئ: «ورجلك»؛ على أن فعلاً بمعنى: فاعل، نحو: تعب وتاعب، ومعناه: وجمعك الرجل، وتضم جيمه ـ أيضاً ـ فيكون مثل حدث وحدث، وندس وندس[1]، وأخوات لهما، يقال: رجل رجل، وقرئ: «ورجالك، ورجالك».

فإن قلت: ما معنى: استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله؟

قلت: هو كلام ورد مورد التمثيل، مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوّت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم، وقيل: بصوته: بدعائه إلى الشر، وخيله ورجله: كل راكب وماش من أهل العيث[2]، وقيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال، وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما، كالربا والمكاسب المحرّمة، والبحيرة والسائبة، والإنفاق في الفسوق، والإسراف، ومنع الزكاة، والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام، ودعوى ولد بغير سبب، والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث، والتهويد والتنصير، والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة، وغير ذلك، ﴿وَعِدْهُمْ﴾: المواعيد الكاذبة[3]، من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة،

= وذكر القصة وفيها فأمر النبي ﷺ فنودي في الناس: يا خيل الله اركبي: فركبوا، لا ينتظر فارس فارساً. وروى ابن عائذ في المغازي عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة قال: بعث رسول الله ﷺ يعني يوم قريظة يوم الأحزاب منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي» وعزا السهيلي في الروض في غزوة حنين هذه اللفظة في صحيح مسلم. فينظر فيه. وقال أبو داود في السنن: باب النداء عند النفير: يا خيل الله اركبي، وساق في الباب حديث سمرة بن جندب «أن النبي ﷺ سمى خيلنا خيل الله» قلت: أشكل هذا على المخرج فقال: فيه نظر لمن تأمله. فكأنه لم يتجه له مطابقة الحديث للترجمة. وهو ظاهر هنا؛ لأن المراد صحة هذه الإضافة. وقد وردت عن علي وخالد بن الوليد؛ ففي المستدرك للحاكم في قصة أويس من حديث أبي نضرة عن أسيد بن جابر، فذكر القصة، فقال في آخرها: فنادى علي: يا خيل الله اركبي» وفي الردة للواقدي من رواية عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن خالد بن الوليد قال لأصحابه يوم اليمامة: «يا خيل الله اركبي، فركبوا وساروا إلى بني حنيفة» انتهى.

---

(١) قوله: «مثل حدث وحدث، وندس وندس» في الصحاح: رجل حدث وحدث، بضم الدال وكسرها أي حسن الحديث. وفيه: رجل ندس وندس، أي: فهم (ع).

(٢) قوله: «العيث» في الصحاح «العيث» الإفساد (ع).

(٣) قال محمود: «المراد وعدهم المواعيد الكاذبة... إلخ» قال أحمد: وهذا من تجري المصنف على السنة ومتبعيها، فإنه جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وإن لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان، مع العلم بأنها ثابتة بقواطع القرآن وعداً من الرحمن، وكذلك الشفاعة المتفق عليها بين أهل السنة =

وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها، والاتكال على الرحمة، وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمماً[1]، وإيثار العاجل على الآجل، ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾: يريد الصالحين، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: لا تقدر أن تغويهم، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك؛ ونحوه قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٣].

فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغويًا مضلاً، داعياً إلى الشر، صادًا عن الخير؟

قلت: هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية، كما قال للعصاة: اعملوا ما شئتم.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿يُزْجِى﴾: يجري ويسير، والضر: خوف الغرق، ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده؛ فإنكم لا تذكرون سواه، ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم، ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم، أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين، ويجوز أن يراد: ضل من تدعون/ ٢٠٣ ب من الآلهة عن إغاثتكم، ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده[2] على الاستثناء المنقطع.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾: الهمزة: للإنكار، والفاء: للعطف على محذوف تقديره: أنجوتم فأمنتم،

= والجماعة التي وعد بها الصادق المصدوق، وميزه الله تعالى بها على كل مخلوق، من مواعيد الشيطان الباطلة وأمانيه الماحلة. اللهم ارزقنا الشفاعة، واحشرنا في زمرة السنة والجماعة.

(١) قوله: «بعد أن يصيروا حمماً» في الصحاح: الحمم: الرماد والفحم: الواحدة حممة، ثم ما أفاده من توقف المغفرة على التوبة وعدم الشفاعة في الكبائر، وعدم خروج أهلها من النار بعد احتراقهم هو مذهب المعتزلة. وأهل السنة على خلاف ذلك، كما تقرر في علم التوحيد (ع).

(٢) قوله: «ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده» كأنه تكرار، وأسقطه الخازن في عبارته (ع).

فحملكم ذلك على الإعراض.

فإن قلت: بم انتصب ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؟

قلت: بيخسف مفعولاً به، كالأرض في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، و (بكم): حال، والمعنى: أن يخسف جانب البر، أي: يقلبه وأنتم عليه.

فإن قلت: فما معنى ذكر الجانب؟

قلت: معناه: أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب براً كان أو بحراً سبب مرصد من أسباب الهلكة، ليس جانب البحر وحده مختصاً بذلك؛ بل إن كان الغرق في جانب البحر، ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف؛ لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء، فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: وهي: الريح التي تحصب، أي: ترمي بالحصباء، يعني: أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها، فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر، ﴿وَكِيلًا﴾: من يتوكل بصرف ذلك عنكم، ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾: أن يقوّي دواعيكم، ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم، فينتقم منكم بأن يرسل: ﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾: وهي: الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد، كأنها تتقصف أي: تتكسر، وقيل: التي لا تمر بشيء إلا قصفته، ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾: وقرئ بالتاء، أي: الريح، وبالنون، وكذلك: نخسف، ونرسل، ونعيدكم، قرئت بالياء والنون، التبيع: المطالب، من قوله: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: مطالبة؛ قال الشماخ [من الوافر]:

. . . . . كَمَا لاَذَ الغَرِيمُ مِنَ التَّبِيعِ[1]

يقال: فلان على فلان تبيع بحقه، أي مصيطر عليه مطالب له بحقه. والمعنى: أنا نفعل ما نفعل بهم، ثم لا تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للثأر من جهتنا. وهذا نحو قوله ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾. ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفرانكم النعمة، يريد: إعراضهم حين نجاهم.

---

(١) يلوذ ثعالب الشرقين منها كما لاذ الغريم من التبيع

للشماخ، يصف عقاباً تهرب منها ثعالب الشرقين، وهو اسم موضع، أو جهة الجنوب وجهة الشمال، كالمشرقين، كما لاذ: أي هرب والتجأ، الغريم: أي المدين، من التبيع: أي الدائن المطالب.

ينظر: ديوانه ص ٢٢٧، ولسان العرب (تبع).

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

قيل في تكرمة ابن آدم: كرمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وقيل: بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم، وقيل: كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم، وعن الرشيد: أنه أحضر طعاماً فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف، فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: جعلنا لهم أصابع يأكلون بها، فأحضرت الملاعق فردّها وأكل بأصابعه، ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾: هو ما سوى الملائكة[1]، وحسب بني آدم تفضيلاً أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم، والعجب من المجبرة كيف عكسوا[2] في كل شيء وكابروا، حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك؛ وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم، وعلموا أين أسكنهم، وأنى قربهم، وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة انبيائه من أممهم، ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالاً وأخباراً منهم: «قالت الملائكة[3]: ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة، فقال: وعزتي وجلالي، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له:

---

(١) قال محمود: «المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة... إلخ» قال أحمد: وقد بلغ إلى حد من السفه يوجب الحد، ولسنا لمساجلته إلا من حيث العلم، لا من حيث السفه. والقدر الذي تختص به هذه الآية أن حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر. ألا ترى أنه ورد حمل القليل على العدم. والزمخشري يختار ذلك في قوله تعالى ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشباهه كثير. وقد لمح الشاعر ذلك في قوله [من الطويل]:

قليل بها الأصوات إلا بغامها

أي لا أصوات بها، ولنا أن نبقيه على ما هو عليه، ونقول: إن المخلوق قسمان: بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر، ولا شك أن غيرهم أكثر منهم وإن لم يكونوا أكثر منهم كثيراً، فمعنى قوله ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ أي على غيرهم من جميع المخلوقين، وتلك الأغيار كثير بلا مراء، وذلك مرادف لقولك: وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا، فظاهر الآية إذاً مع الأشعرية الذين سماهم مجبرة، وتمشدق في سبهم وشقشق العبارات في ثلبهم، وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، والله ولي التوفيق والتسديد.

(٢) قوله: «والعجب من المجبرة كيف عكسوا» يعني أهل السنة. وقوله: «تفضيل الإنسان» يعنون المؤمن. ويدل لمذهبهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ وأما الذين كفروا فهم شر البرية، ودعوى العكس من فرط التعصب للمعتزلة (ع).

(٣) قوله: «قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا» صدره كما في الخازن. لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة، وقوله: «خلقت بيدي» في الخازن: ونفخت فيه من روحي (ع).

كن فكان (٨٧١)، ورووا عن أبي هريرة أنه قال: لمؤمن[1] أكرم على الله من الملائكة

---

٨٧١ ـ ورد من حديث ابن عمر وجابر بن عبد الله:

ـ أما حديث ابن عمر، فأخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٩٩ ـ ١٠٠) (٦١٦٩) من طريقة طلحة بن زيد عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا...» وقال: لم يرو هذا الحديث عن صفوان بن سليم إلا طلحة بن زيد...» قلت: وقع تصحيف في المطبوع من الأوسط «عبد الله بن عمرو» بدلاً من «عبد الله بن عمر» وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٦) وابن حجر للطبراني في الكبير وقال ابن حجر: ورجاله ثقات. وله شاهد عند عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٨٢) أنا معمر عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم...﴾ الآية: قال: قالت الملائكة... فذكره موقوفاً عليه، وقال الدارقطني في علله: روى عبد المجيد بن أبي رواد عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «قالت الملائكة...» فذكره وقال: وقد رواه سريج بن يونس عن عبد المجيد فوقفه وهو أصح. أ.هـ.

ـ ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية كذلك، وقال: هذا حديث لا يصح، وكان الحميدي يتكلم في عبد المجيد، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير؛ فاستحق الترك.

ـ وأما حديث جابر، فأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، والطبراني في مسند الشاميين؛ كما في «تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٢٧٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن ماهان: حدثنا طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: رب، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربون، ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، لا نأكل، ولا نشرب، ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة. قال: لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان» قال: لم يروه عن صفوان إلا طلحة وأبو غسان تفرد به طلحة محمد بن ماهان. وعن أبي غسان حجاج الأعور؛ أخرج طريق حجاج في المعجم الكبير ورجاله ثقات. وله شاهد عند عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن زيد بن أسلم قال: قالت الملائكة فذكر نحوه موقوفاً عليه. وقال الدارقطني في العلل: روى عبد المجيد بن أبي داود، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عمر. فذكر نحوه قال: ورواه شريح بن يونس عن عبد المجيدموقوفاً، وهو أصح، وله شاهد آخر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، والبيهقي في الأسماء والصفات من رواية عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويح أنه سمعه يحدث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم وذريته، قالت الملائكة: يا رب خلقتهم يأكلون، ويشربون، وينكحون، ويركبون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة. فقال تعالى: لا أجعل من خلقتهم بيدي كمن قلت له: كن فكان» ومنها ما رواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» البيهقي في الشعب. من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفاً. وأخرجه ابن ماجه من هذه الطريق موقوفاً. وأبو المهزم متروك: وله شاهد أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من رواية عبيد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ماشيء أكرم على الله =

---

(١) قوله: «قال لمؤمن أكرم على الملائكة» في الخازن: المؤمن (ع).

الذين عنده (٨٧٢)، ومن ارتكابهم أنهم فسروا: (كثيراً) بمعنى: «جميع» في هذه الآية، وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم: وفضلناهم على جميع ممن خلقنا، على أن معنى قولهم: «على جميع ممن خلقنا»: أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم، ولكنهم لا يشعرون، فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى، كأنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط، فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم[1].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

قرئ: «يدعو»: بالياء والنون، ويدعى كل أناس، على البناء للمفعول، وقرأ الحسن: «يدعوا كل أناس»: على قلب الألف واواً في لغة من يقول: افعوا، والظرف نصب بإضمار

= يوم القيامة من بني آدم. قيل: ولا الملائكة. قال: ولا الملائكة. الملائكة مجبورون كالشمس والقمر» قال البيهقي: تفرد به عبيد الله بن تمام يروي أحاديث معاوية وهو ضعيف. انتهى.

٨٧٢ ـ روي موقوفاً ومرفوعاً.

أما المرفوع: فأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٠١ ـ ١٣٠٢) ـ كتاب الفتن (٣٦ ـ باب المسلمون في ذمة الله عز وجل (٦) (٣٩٤٧)، وابن حبان في كتاب الضعفاء (٣/ ٩٩)، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: سمعت أبا المهزم. سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكره. وفي الزوائد للبوصيري (٣/ ٢٢٧): إسناد ضعيف؛ لضعف يزيد بن سفيان. قال ابن حبان في «يزيد بن سفيان»: كان ممن يهم ويخطئ فيما يروى، فلما كثر في روايته مخالفة الأثبات، خرج عن حد العدالة. قد تركه شعبة. وضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم، وقال النسائي: متروك. ينظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٢٨) وعزاه الهيثمي في المجمع (١/ ٨٧) للطبراني في الأوسط وقال: فيه أبو المهزم وهو متروك.

وأما الموقوف:

فأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٧٤) (١٥٢)، وقال: كذا رواه أبو المهزم عن أبي هريرة موقوفاً وأبو المهزم متروك. وله شاهد أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٧٤) (١٥٣) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٠٣) (٤٨٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٤٥) كلهم من طريق عبيد الله ابن تمام السلمي، عن خالد الحذاء، عن بشر بن شغاف، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً. «ما من شيء أكرم على الله من ابن آدم...».

قال ابن الجوزي: حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ؛ قال الدارقطني: عبيد الله بن تمام يروي أحاديث مقلوبة، وهو ضعيف، وقال ابن حبان: لا يحتج بخبره، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٧): رواه الطبراني في الكبير وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف.

---

(١) قوله: «فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم» في الصحاح «السخيمة» الضغينة والموجدة في النفس (ع).

اذكر، ويجوز أن يقال: إنها علامة الجمع؛ كما في: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣]، والرفع مقدر كما في: يدعى، ولم يؤت بالنون؛ قلة مبالاة بها؛ لأنها غير ضمير، ليست إلا علامة، ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾: بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين، أو كتاب، أو دين[1]، فيقال: يا أتباع فلان، يا أهل دين كذا وكتاب كذا، وقيل: بكتاب أعمالهم، فيقال: يا أصحاب كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر، وفي قراءة الحسن: «بكتابهم»، ومن بدع التفاسير: أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الأباء رعاية حق عيسى ـ عليه السلام ـ وإظهار شرف الحسن والحسين، وألاَّ يفتضح أولاد الزنا، وليت/ ٢٠٤ أ شعري أيهما أبدع؟ أصحة لفظة أم بهاء حكمته[2]؟ ﴿فَمَنْ أُوتِىَ﴾: من هؤلاء المدعوين، ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ قيل: أولئك؛ لأن من أوتي في معنى الجمع.

فإن قلت: لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم.

قلت: بلى، ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم، أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته، والاعتراف بمساويه، أمام التنكيل به والانتقام منه، من الحياء والخجل والانخزال، وحبسة اللسان، والتتعتع، والعجز عن إقامة حروف الكلام، والذهاب عن تسوية القول، فكأن قراءتهم كلا قراءة، وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك، لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها، ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارىء لأهل المحشر: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء؛ كقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

---

(١) قال محمود: «بإمامهم معناه بمن ائتموا به من نبي أو كتاب أو دين... إلخ» قال أحمد: ولقد استبدع بدعاً لفظاً ومعنى، فإن جمع الأم المعروف أمهات، أما رعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه، فيستدعي أن خلق عيسى من غير أب غميزة في منصبه، وذلك عكس الحقيقة، فإن خلقه من غير أب كان آية له، وشرفاً في حقه، والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: «قلت: وهو معذور، لأن «أمّا» لا تجمع على «إمام» هذا قول من لا يعرف الصناعة، ولا لغة العرب، وأما ما ذكروه من المعنى فإن الله تعالى نادى عيسى باسمه مضافاً لأمه في عدة مواضع من قوله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ وأخبر عنه كذلك نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وفي ذلك غضاضة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـ وكرّم الله وجهه ـ قوله: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ﴾ يجوز أن تكون شرطية، وأن تكون موصولة، والفاء لشبهه بالشرط، وحمل على اللفظ أولاً، في ذلك قوله: «أوتي كتابه بيمينه»، فأفرد، وعلى المعنى ثانياً في قوله: «فأولئك» فجمع. انتهى. الدر المصون.

معناه: ومن كان في الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى كذلك، ﴿وأضل سبيلا﴾: من الأعمى، والأعمى: مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر، وأما في الآخرة؛ فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه، وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى: التفضيل[1]، ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول: مما لا، والثاني مفخماً[2]؛ لأن أفعل التفضيل تمامه بمن، فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام[3]؛ كقولك: أعمالكم، وأما الأول: فلم يتعلق به شيء، فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

روي أن ثقيفاً قالت للنبي ﷺ: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب: لا نعشر، ولا نحشر، ولا نجبى[4] في صلاتنا، وكل ربًا لنا فهو لنا، وكل ربًا علينا فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة، ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول، وأن تمنع من قصد وادينا وجّ فعضد شجره، فإذا سألتك العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني به، وجاءوا بكتابهم فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف: لا يعشرون ولا يحشرون، فقالوا: ولا يجبون، فسكت رسول الله ﷺ ثم قالوا للكاتب: اكتب: ولا يجبون، والكاتب ينظر إلى رسول الله، فقام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فسل سيفه، وقال: أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف، أسعر الله قلوبكم ناراً، فقالوا: لسنا نكلم إياك؛ إنما نكلم محمداً (٨٧٣)؛ فنزلت، وروي أن قريشاً قالوا له:

---

٨٧٣ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٩)، وقال ابن حجر: لم أجده، وذكره الثعلبي عن ابن =

---

(١) عاد كلامه. قال: «وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل... إلخ» قال أحمد: أي لأنه من عمي القلب لا من عمي البصر، فجاز أن يبني منه أفعل.

(٢) عاد كلامه. قال: «ومن ثم أمال أبو عمرو الأولى وفخم الثانية... إلخ» قال أحمد: يحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الأولى، أي: فمن أوتي كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه، ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه ولا ناظر في معاده، فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه، بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين، والله أعلم.

(٣) قوله: «الواقعة في وسط الكلام» لعله الكلمة، كعبارة النسفي (ع).

(٤) قوله: «لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي» في الصحاح «النجبية» أن يقوم الإنسان قيام الراكع. وقال أبو عبيدة: تكون في حالين، أحدهما: أن يضع يديه على ركبتيه، والآخر ينكب على وجهه باركاً وهو السجود، وفيه «وجّ» بلد الطائف: وفيه أيضاً: عضدت الشجر، أي قطعته (ع).

اجعل آية رحمة آية عذاب، وآية عذاب آية رحمة، حتى نؤمن بك؛ فنزلت، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾: إن مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والمعنى: أن الشأن قاربوا أن يفتنوك، أي: يخدعوك فاتنين، ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا، ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا﴾: لتقول علينا ما لم نقل، يعني: ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً والوعيد وعداً، وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزله عليه، ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ أي: ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك ﴿خَلِيلًا﴾، ولكنت لهم وليًا، وخرجت من ولايتي، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾: ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا، ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾: لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم، وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت، وفي ذلك لطف للمؤمنين، ﴿إِذًا﴾: لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة، ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين.

فإن قلت: كيف حقيقة هذا الكلام؟

قلت: أصله: لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات؛ لأن العذاب عذابان: عذاب في الممات، وهو عذاب القبر، وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار، والضعف يوصف به، نحو قوله: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، بمعنى: مضاعفاً، فكان أصل الكلام: لأذقناك عذاباً ضعفاً في الحياة، وعذاباً ضعفاً في الممات[1]، ثم حذف الموصوف

= عباس من غير سند. انتهى.

---

(١) قال محمود: المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات... إلخ» قال أحمد: أما تقليل الكيدودة فالذي ينبغي أن يحمل عليه كونه الواقع في علم الله تعالى؛ لأن الله عز وجل يعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فعلم تعالى أن الركون الذي كاد يحصل منه عليه السلام وإن كان ما حصل أمر قليل وخطب يسير، فذلك إخبار من الله تعالى عن الواقع في علمه تقديراً، فلا يليق أن يحمل على المبالغة والتنبيه. فإن ذلك لا يكون في الإخبار. ألا ترى أنه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير، لكان تقليله خلفاً في الخبر، ولا ينكر أن الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وأما نقل الزمخشري عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح إلى الله عز وجل، فلقد استعظموا عظيماً حق على كل مسلم أن يستفظعه، ولكنهم جهلوا باعتقاد القبح وصفاً ذاتيا للقبح، فلزمهم على ذلك أن كل فعل استقبح من العبد استقبح من الله تعالى، وهم غالطون في ذلك، فمعنى كون الفعل قبيحاً أن الله تعالى نهى عنه عبده، وإن كان لله تعالى أن يفعله، وهو حسن بالنسبة إليه ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ألا ترى أن الملك يصح منه أن يستقبح من عبده أن يجلس على كرسي الملك، ونهاه عن ذلك، ولا يستقبح ذلك من نفسه، بل هو منه حسن جميل. ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الإشراك، عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وإيمان صرف، ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسناً، والله الموفق.

وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف، ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات، كما لو قيل: لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات، ويجوز أن يراد بضعف الحياة: عذاب الحياة الدنيا، وبضعف الممات: ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار، والمعنى: لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا، وما نؤخره لما بعد الموت، وفي ذكر الكيدودة وتقليلها، مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين ـ دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته، ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد[1] ـ رضوان الله عليهم ـ نسبة المجبرة القبائح إلى الله ـ تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً ـ وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته، وسبب موجب لغضبه ونكاله، فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها، فهي جديرة بالتدبر، وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله، وعن النبي ﷺ أنها لما نزلت كان يقول: «اللَّهُمَّ لاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»/ ٢٠٤ ب (٨٧٤).

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَإِن كَادُوا۟﴾: وإن كاد أهل مكة، ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم، ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من أرض مكة، ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾: لا يبقون بعد إخراجك، ﴿إِلَّا﴾: زماناً ﴿قَلِيلًا﴾: فإن الله مهلكهم وكان كما قال، فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل، وقيل: معناه: ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم، ولم يخرجوه، بل هاجر بأمر ربه، وقيل: من أرض العرب، وقيل: من أرض المدينة؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم، فاجتمعوا إليه، وقالوا: يا أبا القاسم، إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم، فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك، وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم، فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم، فعسكر رسول الله ـ ﷺ على أميال من المدينة، وقيل: بذي الحليفة، حتى يجتمع إليه أصحابه، ويراه الناس عازماً على الخروج إلى الشام، لحرصه على دخول

---

٨٧٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٩) للثعلبي في تفسيره عن قتادة مرسلاً، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلاً. انتهى.

---

(١) قوله: «ومن ثم استعظم مشايخ العدل» يعني المعتزلة. ويريد بالمجبرة: أهل السنة. حيث قالوا: إن الخير والشر كلاهما من عند الله يخلقه وإرادته، ولو كان من فعل العبد ظاهراً (ع).

الناس في دين الله (٨٧٥)؛ فنزلت، فرجع، وقرئ: «لا يلبثون»، وفي قراءة أبيّ: «لا يلبثوا» على إعمال «إذا».

فإن قلت: ما وجه القراءتين؟

قلت: أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل، وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد، والفعل في خبر كاد واقع موقع الإسم، وأما قراءة أبيّ، ففيها الجملة برأسها التي هي: «إذاً لا يلبثوا»، عطف على جملة قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، وقرئ: «خلافك»[1]؛ قال [من الكامل]:

عَـفَـتِ الـدِّيـارُ خـلافَـهـمْ فـكَـأنَّـمـا بَـسـطَ الـشَّـواطِـبُ بيْـنـهُـنَّ حَـصِـيـرا[2]

أي بعدهم ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يعني: أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم، فسنة الله أن يهلكهم، ونصبت نصب المصدر المؤكد، أي: سن الله ذلك سنة.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

دلكت الشمس: غربت، وقيل: زالت، وروي عن النبي ﷺ: «أَتانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالتِ الشَّمْسُ، فصلَّى بِي الظهر» (٨٧٦). واشتقاقه من

---

٨٧٥ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٠)، وقال ابن حجر: لم أجده، وذكره السهيلي في الروض عن عبد المجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم «أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، إن كنت صادقاً أنك نبي، فالحق بالشام... فذكر نحوه.. لكن قال: فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام. فلمّا بلغ تبوك أنزل الله تعالى ـ فذكره وزاد: وأمره بالرجوع، وقال: «فيها محياك ومماتك ومنها تبعث» وحديث عبد الرحمن بن غنم عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٣) لابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

٨٧٦ ـ أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ٤٠١) (٥١٨) من طريق أيوب بن عتبة، عن أبي بكر ابن أبي عمرو بن حزم، عن عروة بن الزبير عن ابن أبي مسعود الأنصاري، عن أبيه أن جبريل ـ عليه السلام ـ أتى رسول الله ﷺ حين دلكت الشمس... وقال: وأيوب بن عتبة ليس بالقوي وأخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٢٥) (٢٢٥٨١) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٦٣) (٧٢٤) مطولاً. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨١) لابن مردويه في تفسيره، وعزاه ابن حجر: لإسحاق في مسنده. كلهم من طريق يحيى بن سعيد، حدثني أبو بكر بن حزم، عن أبي =

---

(١) قوله: «وقرئ خلافك» كانت القراءة التي سبق تفسيرها: خلفك.

(٢) عفت: درست وهلكت، خلافهم: أي بعدهم. والشواطب: النساء يشققن شطب النخل: أي سعفه الأخضر، يعملنه حصيراً: يصف ديارهم بعدهم بدروسها وكثرة قمامتها لعدم كنسها.

الدلك؛ لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها، فإن كان الدلوك الزوال، فالآية جامعة للصلوات الخمس، وإن كان الغروب، فقد خرجت منها الظهر والعصر، والغسق: الظلمة، وهو وقت صلاة العشاء، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاة الفجر، سميت قرآناً وهو القراءة؛ لأنها ركن، كما سميت ركوعاً وسجوداً وقنوتاً، وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن، ﴿مَشْهُودًا﴾: يشهده ملائكة الليل والنهار، ينزل هؤلاء، ويصعد هؤلاء؛ فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار، أو يشهده الكثير من المصلين في العادة، أو من حقه أن يكون مشهوداً بالجماعة الكثيرة، ويجوز أن يكون: (وقرآن الفجر): حثًّا على طول القراءة في صلاة الفجر؛ لكونها مكثوراً عليها؛ ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب؛ ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾: وعليك بعض الليل، ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾: والتهجد: ترك الهجود للصلاة؛ ونحوه: التأثم والتحرج، ويقال ـ أيضاً ـ في النوم: تهجد، ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع نافلة موضع تهجداً؛ لأن التهجد عبادة زائدة، فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد، والمعنى: أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك؛ لأنه تطوع لهم، ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: نصب على الظرف، أي: عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاماً محموداً، أو ضمن يبعثك معنى: يقيمك، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: أن يبعثك ذا مقام محمود، ومعنى المقام المحمود: المقام الذي يحمده القائم فيه، وكل من رآه وعرفه، وهو مطلق في كل ما يجب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل:

= مسعود الأنصاري. . فذكره وقال ابن حجر: وهذ منقطع. قلت: وذلك؛ لأن أبا بكر لم يسمع من أبي مسعود.

وبمعناه ما أخرجه البزار في مسنده (٢٢٢٧) من حديث عمر بن قيس، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «دلوك الشمس زوالها» وقال: إنما يروى هذا الحديث موقوفاً على ابن عمر، ولم يسنده عن الزهري إلاعمر بن قيس، وكان لَيّن الحديث. أ.هـ.

وأخرج الطبري في تفسيره (٨/ ١٢٥) (٢٢٥٨٣) من حديث جابر بن عبد الله قال: دعوت نبي الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي ﷺ فقال: «اخرج يا أبا بكر، قد دلكت الشمس».

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه البيهقي من طريق أيوب بن عتبة، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عروة، عن ابن مسعود قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ حين دلكت الشمس ـ يعني حين زالت ـ فقال: قم فصل، فقام فصلّى الظهر» قال إسحاق في مسنده: حدثنا بشر بن عمر حدثنا سليمان بن بلال حدثنا يحيى بن سعيد حدثني أبو بكر بن حزم عن أبي مسعود قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: قم فصل. وذلك لدلوك الشمس حين مالت. فقام فصلى الظهر أربعاً. ومن هذا الوجه أخرجه ابن مردويه. وهذا منقطع. انتهى.

المراد: الشفاعة، وهي نوع واحد مما يتناوله، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق: تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ فيهِ لأُمَّتِي» (٨٧٧). وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد، فلا تتكلم نفس، فأول

---

٨٧٧ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة: فورد من حديث

١ ـ أبو هريرة، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٣) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ باب «ومن سورة بني إسرائيل» ـ (٣١٣٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٧٨)، والواحدي في تفسير الوسيط (٣/ ١٢٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٤) لابن أبي شيبة في مسنده، وابن مردويه في تفسيره كلهم من طريق داود بن يزيد الزَّغَافِريِّ عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ . . . قال الترمذي: حديث حسن، وداود الزغافري هو داود الأودي بن يزيد بن عبد الله قلت: وداود بن يزيد هو أبو يزيد الكوفي الأعرج، قال الحافظ في التقريب (١/ ٢٣٥): ضعيف.

٢ ـ وفي الباب حديث أنس

أخرجه البخاري في صحيحه (١٥/ ٣٨٣) ـ كتاب التوحيد (٩٧) ـ باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (٢٤) (٧٤٤٠) معلقاً.

٣ ـ وعن ابن عمر

وهو عند البخاري أيضاً (٩/ ٣١٦) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ باب قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (٤٧١٨).

٤ ـ وعن ابن مسعود

أخرجه النسائي في التفسير (٦/ ٣٨٢) (١١٢٩٦) مختصراً، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٦: ٤٩٨) مطولاً، كلاهما من طريق سلمة بن كهيل ثنا أبو الزعراء عن عبد الله بن مسعود قال. . . وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قلت: وفي ذلك نظر، فإن أبا الزعراء ـ واسمه عبد الله بن هانئ الكندي ـ لم يرو عنه إلا سلمة بن كهيل. قال البخاري في التاريخ الكبير (٥/ الترجمة ٧٢٠): لا يتابع في حديثه. وذكره العقيلي في الضعفاء وقال: سمع ابن مسعود، وفيه كلام ليس في حديث الناس، وساق له حديث الشفاعة بطوله، ووثقه العجلي وابن سعد. تهذيب الكمال (١٦/ ٢٤٠) وأخرج أحمد في المسند (١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) كتاب التفسير. كلاهما من طريق علي بن الحكم، عن عثمان بن عمير، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، وعن ابن مسعود، وعند الحاكم، عن عثمان، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: «جاء ابنا مليكة إلى النبي. . . فذكره». وفيه قال النبي ﷺ: «ما شاء الله ربي، وما أطعمني فيه، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة». . . وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعثمان بن عمير هو ابن اليقظان. وتعقبه الذهبي فقال: «لا والله، فعثمان ضعفه الدارقطني، والباقون ثقات.

قلت: وقع تصحيف في المطبوع من تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٢٨٣)، فوقع «عثمان بن عمر أبي القطان» والصحيح ما تقدم.

٥ ـ حديث كعب بن مالك:

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣) ـ كتاب التفسير، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. =

مدعو محمد ﷺ فيقول: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالشرّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهديُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدكَ بَيْنَ يَدَيكَ وَبِكَ وَإِلَيكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ منجى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبّ الْبَيْتِ» (٨٧٨)[1]. قال: فهذا قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

= ٦ ـ حديث جابر

أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٥٠) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) (٣٢٠) عن يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي... وفيه ـ قال جابر ـ «فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام...».

٧ ـ وحديث أبي سعيد الخدري

أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) (٣١٤٨)، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٠) ـ كتاب الزهد (٣٧) ـ باب ذكر الشفاعة (٣٧) (٤٣٠٨)، كلاهما من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله... وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: وتصحيح الترمذي فيه نظر؛ فإن علي بن زيد بن جُدعان ضعيف. التقريب (٢/ ٣٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي من طريق داود بن يزيد الأودي، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وسئل عنه فقال: «هي الشفاعة» وفي الباب عن أنس عند البخاري في التوحيد، وعن ابن عمر عنده في الزكاة. وعن ابن مسعود عند النسائي والحاكم، وله طريق آخر عند أحمد والحاكم مطولاً. وعن كعب بن مالك عند الحاكم. وأصله عند مسلم وعن جابر عند أحمد والحاكم، واختلف في وصله وإرساله على الزهري. عن علي بن الحسين. وعن أبي سعيد عند الترمذي، وابن ماجه، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن مردويه مطولاً. وعن سعد بن أبي وقاص عند ابن مردويه من رواية محمد بن الحسن عن أبي حنيفة، عن عبد العزيز بن ربيع، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: «سئل النبي ﷺ عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة». انتهى.

٨٧٨ ـ أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٨١) ـ كتاب التفسير ـ (١١٢٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٢٢٨ ـ منحة) (٢٨٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٧٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣١٩) (٣١٧٤٤)، والبزار كما في كشف الأستار (٤/ ١٦٧) والبيهقي في البعث والنشور (ص ١٣٤/ ٢١١)، والطبري في تفسيره (٨/ ١٣٢) (٢٢٦٣١) كلهم من طرق عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة بن اليمان موقوفاً قال: يجمع الناس في صعيد واحد فلاتكلم نفس...» وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما أخرج مسلم حديث أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن خراش ليخرجن من النار فقط. ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٨٠): رواه البزار موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٣) من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعاً دون قول حذيفة: «فذلك المقام المحمود» وعزاه الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٨٠) للطبراني في الأوسط، وقال: وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة =

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

قرئ: «مدخل ومخرج»: بالضم والفتح، بمعنى: المصدر، ومعنى الفتح: أدخلني فأدخل مدخل صدق، أي: أدخلني القبر مدخل صدق: إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضيًا، ملقى بالكرامة، آمناً من السخط، يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث، وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة ـ يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة ـ، وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين، وقيل: إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً، وقيل: إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر ـ وهو النبوة ـ وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط، وقيل: الطاعة، وقيل: هو عام في كل/ ٢٠٥ أ ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان، ﴿سُلْطَانًا﴾: حجة تنصرني على من خالفني، أو ملكاً. وعزًا قويًا ناصراً للإسلام على الكفر مظهراً له عليه، فأجيبت دعوته بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [النور: ٥٥]، ﴿ليستخلفهم في الأرض﴾ ووعده لينزعن ملك فارس والروم، فيجعله له، وعنه ﷺ: أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة، وقال: «انْطَلِقْ فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ» ح، فكان شديداً على المريب، ليناً على المؤمن، وقال: «لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَعْلَمُ مُتَخَلِّفاً يتَخلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ فِي جَمَاعَةٍ إِلاَّ ضربْتُ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إِلاَّ مُنَافِقٍ». فقال أهل مكة: يا رسول الله، لقد استعملت على

= (ص ٣٦٧/ رقم ٧٨٩) من طريق حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق به مرفوعاً.

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢١٧) سألت أبي عن حديث رواه حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، عن النبي فذكره. قال: قال أبي: لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار، وموقوفه أصح. قلت: قوله «لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار» فيه نظر؛ لما تقدم من رواية ليث بن أبي سليم، فقد رفعه. وعزاه الحافظ في المطالب العالية (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) لمسدد ولابن أبي عمر، وأخرجه أيضاً ابن المنذر، وابن مردويه، والخطيب في المتفق، والمفترق كما في الدر (٤/ ٣٥٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه النسائي، والحاكم، وابن أبي شيبة، والطبري، وأبو يعلى، والبزار، وأبو نعيم في ترجمة حذيفة في الحلية؛ كلهم من طريق شعبة وإسرائيل، كلاهما عن أبي إسحاق سمعت عتبة بن زفر يقول: سمعت حذيفة يقول: «يجمع الناس» فذكره. انتهى.

أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيًا جافياً، فقال ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ فِيما يَرى النَّائِمُ كَأَنَّ عِتَابَ بْن أُسيْدٍ أَتَى بَابَ الجنَّةِ، فَأَخَذَ بِحَلقةِ البَابِ فَقَلْقلهَا قُلْقَالاً شَدِيداً حتَّى فتحَ لَهُ فَدَخَلَهَا، فَأَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ لِنُصْرَتِهِ المُسْلِمِينَ علَى مَنْ يُرِيدُ ظُلمَهُمْ؛ فذلِكَ السُّلْطانُ النَّصيرُ» (٨٧٩).

كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً صنم كل قوم بحيالهم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها، فشكا البيت إلى الله ـ عز وجل ـ فقال: أي رب، حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إلى البيت: إني سأحدث لك نوبة جديدة، فأملأك خدوداً سجداً، يدفون إليك دفيف النسور[1]، يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية. ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل ـ عليه السلام ـ لرسول الله ﷺ: خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنماً صنماً، وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صفر، فقال: يا علي، ارم به، فحمله رسول الله ﷺ حتى صعد فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد ﷺ (٨٨٠) وشكاية البيت

---

٨٧٩ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٦) للثعلبي بإسناده إلى الكلبي، وابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي بإسناده عن الكلبي. قال: (سلطاناً مضيراً) عتاب ابن أسيد استعمله رسول الله ﷺ على أهل مكة، فذكره سواه، وأخرجه ابن مردويه من طريق إسماعيل بن خليفة الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. دون هذا الحديث. انتهى.

٨٨٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٧) غريب. وقال ابن حجر: لم أجده، قلت: وأخرج النسائي في الكبرى (٥/ ١٤٢) ـ كتاب الخصائص ـ (٨٥٠٧)، وأحمد في المسند (١/ ٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٧)، وعزاه الزيلعي لإسحاق بن راهويه في مسنده؛ كلهم من طريق نعيم بن حكيم ثنا أبو مريم، علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «انطلقت مع رسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة...» فذكره. وليس فيه عند النسائي. أن ذلك كان في فتح مكة ولا تلاوة الآية. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله إسناده «صحيح والمتن منكر» وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٦) ونسبه لأحمد وابنه، وأبي يعلى، والبزار. وقال: ورجال الجميع ثقات. قلت: وفي تصحيح الحاكم للحديث والذهبي للإسناد، نظر؛
فإن: نعيم بن حكيم: قال فيه النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن خراش: صدوق لا بأس به، ووثقه العجلي ويحيى بن معين في رواية. وقال ابن حجر في التهذيب: ونقل الساجي عن ابن معين تضعيفه، وقال الأزدي أحاديثه مناكير... لا يقوم حديثه (١٠/ ٤٥٨)، وقال ابن حجر في التقريب =

---

(١) قوله: «يدفون إليك دفيف النسور» في الصحاح «الدفيف» الدبيب. وهو السير اللين، وفيه «العج» رفع الصوت، وقد عج يعج عجيجاً (ع).

والوحي إليه: تمثيل وتخييل، ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: ذهب وهلك، من قولهم: زهقت نفسه، إذا خرجت، والحق: الإسلام، والباطل: الشرك، ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾: كان مضمحلاً غير ثابت في كل وقت.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَنُنَزِّلُ﴾: قرئ بالتخفيف والتشديد، ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾: من للتبيين؛ كقوله: من الأوثان، أو للتبعيض، أي: كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين، يزدادون به إيماناً، ويستصلحون به دينهم، فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى، وعن النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالقُرآنِ فَلاَ شَفَاهُ اللَّهُ» (٨٨١)، ولا يزداد به الكافرون ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: نقصاناً؛ لتكذيبهم به وكفرهم؛ كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: بالصحة والسعة، ﴿أَعْرَضَ﴾: عن ذكر الله، كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: تأكيد للإعراض؛ لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه، والنأي بالجانب: أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار؛ لأن ذلك من

= (٢/ ٣٠٥) صدوق له أوهام، وأما أبو مريم، وهو الثقفي واسمه قيس المدائني: قال الدارقطني: مجهول؛ كما في التهذيب (١٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وقال ابن حجر في التقريب (٢/ ٤٧١) أبو مريم الثقفي اسمه قيس المدائني مجهول، ووثقه الذهبي في الكاشف (٣/ ٣٧٦) (ت ٣٧٩).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: قال لم أجده. وروى النسائي والحاكم من طريق ابن أبي مريم عن علي. قال: «انطلقت مع النبي ﷺ حتى أتينا الكعبة فقال لي: اجلس، فجلست. وصعد على منكبي فنهضت به فذكر الحديث» وليس فيه أن ذلك كان في فتح مكة. ولا تلاوة الآية وروى النسائي. انتهى.

٨٨١ ـ عزاه الزيلعي (٢/ ٢٨٨) وابن حجر في تخريج الكشاف للثعلبي. قلت: وذكره الهندي في كنز العمال (١٠/ ٩) (٢٨١٠٦) من حديث أبي هريرة، وعزاه للدارقطني في الأفراد، وله شاهد من حديث رجاء الغنوي عزاه الهندي في الكنز لابن القانع: وقال المناوي في فيض القدير (١/ ٤٩١) ـ رجاء الغنوي ـ واسمه منبه بن سعد بن قيس غيلان. . . وقد أشار الذهبي في تاريخ الصحابة إلى عدم صحة هذا الخبر. فقال في ترجمة رجاء هذا: له صحبة، نزل بالبصرة وله حديث لا يصح في فضل القرآن. أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من طريق أحمد بن الحرث الغساني. حدثنا ساكنة بنت الجعد، قالت: سمعت رجاء الغنوي يقول: قال رسول الله ﷺ. فذكره. انتهى.

عادة المستكبرين، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل، ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: شديد اليأس من روح الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقرئ: «وناء بجانبه»: بتقديم اللام على العين؛ كقولهم: «راء» في: «رأى»، ويجوز أن يكون من «ناء» بمعنى: «نهض»، ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: أحد، ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، من قولهم: «طريق ذو شواكل»، وهي: الطرق التي تتشعب منه؛ والدليل عليه قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أي: أسدّ مذهباً وطريقة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته، فأخبر أنه من أمر الله، أي: مما استأثر بعلمه، وعن ابن أبي بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعلم الروح (٨٨٢)، وقيل: هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك، وقيل: جبريل ـ عليه السلام ـ وقيل: القرآن، و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من وحيه وكلامه، ليس من كلام البشر، بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح؛ فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبيّ، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبين لهم القصتين، وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة، فندموا على سؤالهم (٨٨٣)، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾:

---

٨٨٢ ـ ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٦) وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦٧) (٤٠٧) من طريق صالح بن حيّان عن عبد الله بن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما تبلغ الجن والإنس والملائكة...» قلت وهذا إسناد ضعيف؛ فإن صالحاً هذا ضعيف كما في التقريب والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٢) لابن أبي حاتم.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره الواحدي في الوسيط عن عبد الله بن بريدة بهذا في حديث لم يسبق إسناده. انتهى.

٨٨٣ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٩، ٢٧١) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن مشركي قريش بعثوا...» وذكره ابن هشام في سيرته (١/ ٣٧٨) (٢٨٦) عن ابن إسحاق، وأورده القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٥) وكذا ابن كثير في البداية (٣/ ٥٢، ٥٣) قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق. والرواية الصحيحة في شأن سؤال النبي عن الروح ليس فيها ذكر لمشركي مكة.
أخرجها البخاري في صحيحه (١٥/ ١٩٤) ـ كتاب الاعتصام بالسنة (٩٦) ـ باب ما يكره من كثرة السؤال (٣) ـ حديث رقم (٧٢٩٧)، ومسلم (٩/ ١٥٠) ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ـ باب سؤال اليهود النبي عن الروح (٤) ـ حديث رقم (٢٧٩٤)، والترمذي (٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ حديث رقم (٣١٤١) والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٨٣) ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح﴾ (١١٢٩٩)؛ كلهم من طريق إبراهيم عن علقمة عن عبد =

الخطاب عام، وروي أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك، قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه؟ فقال: بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً، فقالوا: ما أعجب شأنك: ساعة تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وساعة تقول هذا (٨٨٤)؛ فنزلت: (ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام) [لقمان: ٢٧]، وليس ما قالوه بلازم؛ لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة، فيوصف الشيء بالقلة مضافاً إلى ما فوقه، وبالكثرة مضافاً إلى ما تحته، فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها؛ إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة، وقيل: هو خطاب لليهود خاصة؛ لأنهم قالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة، وقد تلوت: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾: جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط، واللام الداخلة على إن موطئة للقسم، والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور/ ٢٠٥ ب والمصاحف، فلم نترك له أثراً وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾: بعد

= الله بن مسعود قال: . . . فذكر الحديث.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أجده هكذا. وذكره ابن هشام في السيرة عن زياد عن أبي إسحاق. وكذا أخرجه البيهقي في الدلائل من طريقه: «أن أهل مكة بعثوا رهطاً منهم إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث. فإذا عرفها فهو نبي: سلوه عن أقوام ذهبوا في الأرض فلم يدر ما صنعوا. . . القصة بطولها». انتهى.

٨٨٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٤٣) (٢٢٦٨٧)، من طريق محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾. . . وأخرجه أيضاً (١٠/ ٢٢١) (٢٨١٤٨) من طريق ابن إسحاق قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ وأورده ابن كثير (٣/ ٤٥١) عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس به، وعزاه في الدر المنثور (٤/ ٣٦١) لابن مردويه في تفسيره، وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٩٠) ذكره الثعلبي في سورة لقمان هكذا من غير سند.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

ذكره الثعلبي في تفسير «لقمان» بغير سند ولا راوٍ، وروى ابن مردويه من طريق علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن عكرمة، لا أعلمه إلا عن ابن عباس. قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً. أوتينا التوراة ومن يؤت التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزل الله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر﴾.

الذهاب ﴿بِهِۦ﴾: من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك، كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون على الاستثناء المنقطع، بمعنى: ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، وهذا امتنان من الله ـ تعالى ـ ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه، فعلى كل ذي علم ألاَّ يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما، وهما: منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره، ومنته عليه في بقاء المحفوظ، وعن ابن مسعود: إن أول ما تفقدون من دينكم: الأمانة، وآخر ما تفقدون: الصلاة، وليصلين قوم ولا دين لهم، وإن هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء، فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم؟ فقال: يسرى عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء، ترفع المصاحف، وينزع ما في القلوب (٨٨٥).

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿لَا يَأْتُونَ﴾: جواب قسم محذوف، ولولا اللام الموطئة؛ لجاز أن يكون جواباً للشرط؛ كقوله: [من البسيط]:

. . . . . يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِي ولاَ حَرِمُ[1]

لأن الشرط وقع ماضياً، أي: لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه، وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله،

---

٨٨٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٦٣) (٥٩٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٤٥) (٣٠١٩٣) ـ كتاب فضائل القرآن، وأخرجه أيضاً (٧/ ٥٠٥) (٣٧٥٨٥) ـ كتاب الفتن، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٥٣) (٨٧٠٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٢٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٤) ـ كتاب الفتن؛ كلهم من طريق عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال: سمعت ابن مسعود يقول: «إن أول ما تفقدون...» وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير شداد بن معقل وهو ثقة.
قال الحافظ بن حجرفي تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه الطبراني، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن مردويه كلهم من طريق شداد بن معقل، عن عبد الله بن مسعود وزاد في آخره: ثم قرأ عبد الله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾. انتهى.

---

(١) تقدم.

والعجب من النوابت[1] ومن زعمهم أن القرآن قديم[2] مع اعترافهم بأنه معجز[3]؛ وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة، فيقال: الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه، وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم، فلا يقال للفاعل: قد عجز عنه، ولا هو معجز، ولو قيل ذلك، لجاز وصف الله بالعجز؛ لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال، إلا أن يكابروا فيقولوا: هو قادر على المحال، فإن رأس مالهم[4]: المكابرة وقلب الحقائق.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: رددنا وكررنا، ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كل معنى، هو كالمثل في غرابته وحسنه، والكفور: الجحود.

فإن قلت: كيف جاز: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، ولم يجز: ضربت إلا زيداً؟

قلت: لأن أبى متأول بالنفي، كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورا.

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

---

(١) قوله: «النوابت» في الصحاح «النوابت من الأحداث» الأغمار. وفيه: رجل غمر: لم يجرب (ع).

(٢) قال محمود: «والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز... إلخ» قال أحمد: ومما يدلك على حيد المصنف عن سنن المنصف أنه تدلس على الضعفة في مثل هذه المسألة التي طبقت طبق الأرض ظهوراً وشيوعاً، ومع ذلك يرضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم، وذلك أن عقيدة أهل السنة أن مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات الباري تعالى، يطلق عليها قرآن، ويطلق أيضاً على أدلتها وهي هذه الكلمات الفصيحة والآي الكريمة قرآن، وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول، لكنهم يتحرزون من إطلاق القول بأنه مخلوق لوجهين، أحدهما: أنه إطلاق موهم. والثاني: أن السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا أنوارهم. وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية إيهام غيره مما لا يجوز اعتقاده، فلا ربط بين الاعتقاد والإطلاق، ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بإلزامه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(٣) قوله: «ومن زعمهم أن القرآن قديم» يريد بهم أهل السنة حيث يقولون: إن القرآن قديم، لكن لا بمعنى اللفظ الذي يسمعه بعضنا من بعض، فإن هذا حادث بل بمعنى كلام الله الذي هو صفة له قائمة بذاته تعالى، فهذا هو القديم، كعلمه تعالى وإرادته (ع).

(٤) قوله: «فإن رأس مالهم المكابرة» ليس كما قال غفر الله له، بل رأس مالهم التمسك بالكتاب والسنة، وتحري الحقائق (ع).

لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات: فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة، فقالوا: لن نؤمن لك حتى. . وحتى ﴿تَفْجُرَ﴾: تفتح، وقرئ: «تفجر»: بالتخفيف، ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: يعنون: أرض مكة، ﴿يَنْبُوعًا﴾: عيناً غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع، «يفعول»: من نبع الماء، كيعبوب من عب الماء، ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ يعنون: قول الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: ٩]. قرئ: «كسفاً»: بسكون السين جمع كسفة، كسدرة وسدر، وبفتحه، ﴿قَبِيلًا﴾: كفيلاً بما تقول شاهداً بصحته، والمعنى: أو تأتي بالله قبيلاً، وبالملائكة قبيلاً؛ كقوله [من الطويل]:

. . . . . . كُــنــتُ مِــنْــهُ وَوَالِــدِي بَـــــرِيًّـــــا. . . . . (١)

[ومن الطويل]:

. . . . فَــإِنِّــي وَقــيَّــارٌ بِــهَــا لَــغَــرِيــبُ (٢)

أو مقابلاً، كالعشير بمعنى: المعاشر؛ ونحوه: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، أو جماعة حالاً من الملائكة، ﴿مِّن زُخْرُفٍ﴾: من ذهب، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: في معارج السماء، فحذف المضاف، يقال: رقى في السلم وفي الدرجة، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: ولن نؤمن لأجل رقيك، ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾: من السماء فيه تصديقك، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال عبد الله بن أبي أمية: لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك منشور، معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد

---

(١) رماني بأمر كنت منه ووالدي بريًا ومن جول الطوى رماني

للفرزدق. يقول قذفني بأمر أنا بريء منه ووالدي، فكان: مجردة عن المضي، وحذف خبر الوالد للدلالة عليه، والعطف من عطف الجمل. وبريا: في نية التقديم، فلم يلزم تقدم شيء من المعطوف عليه على المعطوف: هذا رأي الجمهور. وأجاز بعضهم أن «والدي» عطف على اسم كان، فيكون «بريا» خبره، وخبر اسمها محذوفاً أو بالعكس، والعطف من عطف المفردات. ويجوز أن «بريا» خبر عنهما؛ لأن فعيلاً يقال للواحد والمتعدد، لموازنته المصدر: كصهيل وضجيج ونحيب ونسيب، وإن كان استعماله كذلك بمعنى فاعل قليلاً. وجول الطوى ـ بالضم ـ: جانب البئر المطوي. والمعنى: أنه رماني بأمر يرجع عليه هو، كأنه رماني وهو في أسفل البئر بحجر فيرجع عليه، كناية عن مكافأته بأمر أعظم مما رماه به. ويجوز أن الأمر الذي رماه به متصف به الرامي، وهو أنسب بالتشبيه. ويروى من أجل الطوى. فليحرر.

ينظر: ديوانه (ص ١٨٧)، الدرر (٢/ ٦٢)، شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٤٩)، الكتاب (١/ ٧٥)، لسان العرب (حول).

(٢) تقدم.

واللجاج، ولو جاءتهم كل آية لقالوا: هذا سحر؛ كما قال عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر: ١٤] وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه ـ بل هي أعظم ـ لم يكن إلى تبصرتهم سبيل، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾، وقرئ: «قال سبحان ربي»، أي: قال الرسول، و (سبحان ربي): تعجب من اقتراحاتهم عليه، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا﴾: رسولاً كسائر الرسل، ﴿وَبَشَرًا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مثلهم، وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات، فليس أمر الآيات إلي؛ إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها عليّ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿أن﴾ الأولى نصب مفعول ثان لمنع، والثانية رفع فاعل له، و ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾: الوحي، أي: وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا شبهة تلجلجت في صدورهم، وهي: إنكارهم أن يرسل الله البشر، والهمزة في ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾: للإنكار، وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله؛ لأن قضية حكمته ألاَّ يرسل ملك الوحي إلى أمثاله، أو إلى الأنبياء، ثم قرر ذلك بأنه: ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾: على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء[1]، فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه، ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكتين في الأرض قارّين، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾: يعلمهم الخير ويهديهم المراشد، فأما الإنس فما هم بهذه المثابة؛ إنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة، فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون بشراً وملكاً، منصوبين على الحال من رسولاً؟ قلت: وجه حسن، والمعنى له أجوب.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾/ ٢٠٦أ: على أني بلغت ما أرسلت به إليكم، وأنكم كذبتم وعاندتم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾: المنذرين والمنذرين، ﴿خَبِيرًۢا﴾: عالماً بأحوالهم، فهو

---

(١) قال محمود: «معناه لو كانوا يمشون مشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء... إلخ» قال أحمد: وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر، وهو قول القائل: إن مجرد وجود الملائكة في الأرض يناسب إرسال الملك إليهم، فما فائدة هذه الزيادة؟ فيكون جوابه ما تقدم، والله الموفق.

مجازيهم، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ ووعيد للكفرة، وشهيداً: تمييز أو حال.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: ومن يوفقه ويلطف به، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾؛ لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: ومن يخذل، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: أنصاراً، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨] وقيل لرسول الله ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدامِهِمْ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يمشِيهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ» (٨٨٦)، ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: كما كانوا في الدنيا، لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق، ويتصامون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك: لا يبصرون ما يقرّ أعينهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم[1]، ولا ينطقون بما يقبل منهم، ومن كان في هذه أعمى فهو في

---

٨٨٦ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٥) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ حديث رقم (٣١٤٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٦٣)، والبيهقي في البعث والنشور (ص ٧٢/ ١١١) مختصراً. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٩٠) لإسحاق بن راهويه والبزار؛ كلهم من طريق علي بن زيد، عن أوس بن أوس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف...».

وقال الترمذي: حديث حسن. قلت: «وليس كذلك؛ فإن فيه علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف، ولكن لحديث شواهد، فأخرج البخاري في صحيحه (٩/ ٤٣٧) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ حديث رقم (٤٧٦٠)، ومسلم (٩/ ١٦٣) ـ كتاب صفات المناقين وأحكامهم (٥٠) ـ حديث رقم (٢٨٠٦) عن أنس بن مالك أن رجلاً: قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه الترمذي، وأحمد، وإسحاق، والبزار من حديث أبي هريرة بهذا في حديث. وفيه علي بن مرثد وهو ضعيف. قال البزار: لا نعلمه من حديث أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ورواه ابن مردويه من رواية أبي داود نفيع عن أنس مثله، وأصله في الصحيحين عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»؟

قوله «ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم» الذي في الصحاح: لذذت الشيء ـ بالكسر ـ: وجدته لذيذاً. انتهى.

---

(١) قوله: «ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم» الذي في الصحاح: لذذت الشيء ـ بالكسر ـ: وجدته لذيذاً (ع).

الآخرة أعمى، ويجوز أن يحشروا مؤفي الحواس من الموقف إلى النار بعد الحساب، فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤون ويتكلمون، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾: كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهبها، بدلوا غيرها، فرجعت ملتهبة مستعرة، كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها، لا يزالون على الإفناء والإعادة، ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث؛ ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد؛ وقد دل على ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ إلى قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

فإن قلت: علام عطف قوله: (وجعل لهم أجلاً)؟

قلت: على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾؛ لأن المعنى: قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس؛ لأنهم ليسوا بأشد خلقاً منهن، كما قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: ٢٧] ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: وهو الموت أو القيامة، فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحوداً.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

(لو): حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء، فلا بد من فعل بعدها في: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾، وتقديره: لو تملكون تملكون، فأضمر تملك إضماراً على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل، وهو: أنتم؛ لسقوط ما يتصل به من اللفظ، فأنتم: فاعل الفعل المضمر، وتملكون: تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب، فأما ما يقتضيه علم البيان، فهو: أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص، وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ؛ ونحوه قول حاتم:

لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي

وقول المتلمس [من الطويل]:

ولَوْ غيرُ أخوَالي أرادوا نَقِيصتي[1] . . . . . .

---

(١) ولو غير إخواني أرادوا نقيصتي جمعت لهم فوق العرانين ميسما
وهل كنت إلا مثل قاطع كفه بكف له أخرى عليه تقدما؟
للمتلمس خال طرفة بن العبد، و«لو» من حروف الشرط، فمتى كان في حيزها فعل فهي أحق به، =

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر، برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر، ورحمة الله: رزقه وسائر نعمه على خلقه، ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم، وقيل: هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها، وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها، ﴿قَتُورًا﴾: ضيقاً بخيلاً.

فإن قلت: هل يقدر (لأمسكتم): مفعول؟

قلت: لا؛ لأن معناه: لبخلتم، من قولك للبخيل: ممسك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والحجر، والبحر، والطور الذي نتقه على بني إسرائيل (٨٨٧)، وعن الحسن: الطوفان، والسنون، ونقص الثمرات: مكان الحجر، والبحر، والطور (٨٨٨)، وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب، فذكر اللسان والطمس[1]، فقال له عمر: كيف يكون الفقيه إلا هكذا، أخرج يا غلام ذلك الجراب، فأخرجه فنفضه، فإذا بيض مكسور بنصفين، وجوز مكسور، وفوم[2] وحمص وعدس، كلها حجارة، وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسى:

---

٨٨٧ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٥٥) (٢٢٧٣٨)، من طرق عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله «تسع آيات بينات». . . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٠) لـ «سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم».

٨٨٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩١)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٩١).

= فغير إخواني فاعل لمحذوف يفسره المذكور، أي: ولو أراد غير إخواني. ويروى: أخوالي، نقيصتي: أي ظلمي، لو سمهم بالذل وسماً ظاهراً، كأنه فوق الأنوف، وخصها لأنها لا تخفى. والميسم: آلة الوسم بالنار، والمراد أثره وهو السمة. وهل: استفهام إنكاري، أي: لو كافأت إخواني لا أكون إلا مثل من قطع كفه بكفه الأخرى، والكف يذكر ويؤنث؛ فلذلك وصفه بأنه تقدم على الكف الآخر واعتدى عليه ووصفه بأخرى. والمقابلة بين الكفين تؤيد رواية إخواني بالنون. وهو للمتلمس في ديوانه ص٢٩، والأصمعيات ص ٢٤٥، وخزانة الأدب ١٠/ ٥٩ واللامات ص ١٢٨، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٤٩٠، ولسان العرب (نقص)، (وسم)، والمقتضب ٣/ ٧٧.

(١) قوله: «فذكر اللسان والطمس» لعله العقدة التي كانت بلسانه فحلها كما عده الخازن. وأما الطمس: فهو إجابة دعائه في قوله ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ ويشير إلى ذلك ذكر ما في الجواب (ع).

(٢) قوله: «وفوم» في الصحاح «الفوم» الثوم. ويقال له: الحنطة (ع).

أَنْ قُلْ لبني إِسْرَائيل: لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيئاً، وَلاَ تسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، ولاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَلاَ تَسْحَرُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلاَ تَمْشُوا بِبريءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقتُله، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحصَنَةً، ولاَ تَفِرّوا منَ الزَّحْفِ، وَأَنْتُمْ يَا يَهُود خَاصَّةً لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» (٨٨٩). ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فقلنا له: سل بني إسرائيل، أي: سلهم من فرعون[1] وقل له: أرسل معي بني إسرائيل، أو: سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم، أو: سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك؛ وتدل عليه قراءة رسول الله ﷺ: «فسال بَني إِسْرَائيلَ»: على لفظ الماضي بغير همز، وهي لغة قريش، وقيل: فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل، وهم: عبد الله بن سلام، وأصحابه عن الآيات؛ ليزدادوا يقيناً وطمأنينة قلب؛ لأن الأدلة إذا تظاهرت، كان ذلك أقوى وأثبت؛ كقول إبراهيم: (ولكن

---

٨٨٩ ـ أخرجه الترمذي(٥/ ٣٠٥) ـ كتاب التفسير (٤٨) ـ باب «ومن سورة بني إسرائيل» (٣١٤٤)، والنسائي(٧/ ١١١) ـ كتاب تحريم الدم (٣٧) ـ باب السحر (١٨) (٤٠٧٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٢١) ـ كتاب الأدب (٣٣) ـ باب الرجل يقبل يد الرجل (١٦) (٣٧٠٥)، مختصراً. وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣٩ و٢٤٠)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩)، والطبراني في الكبير (٨/ ٨٣ ـ ٨٤) (٧٣٩٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٥٦ ـ ١٥٧) (٢٢٧٤٧) (٢٢٧٤٩) وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٦٩ ـ ٧٠) (٢٢٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٩٧ ـ ٩٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٦٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٢٨) (٣٦٥٤٣)؛ كلهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال: أن يهوديين قال: أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله... وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قلت: وهذا التصحيح فيه نظر؛ فإن «عبد الله بن سلمة» وهو المُرَادي الكوفي أبو عالية؛ قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال أبو حاتم: تعرف وتُنكر، وقال الدارقطني في السنن (٢/ ١٢١) ضعيف، وقال ابن عديّ: أرجو أنه لا بأس به، وقال الذهبي في الكاشف. صويلح وقال العجلي تابعي ثقة، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق تغير حفظه. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الحديث أعلى درجاته أنه حسن، والعلم عند الله تعالى. قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٩٣)... والحديث فيه إشكالات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، وأبو يعلى، والطبراني: كلهم من رواية عبد الله بن سلام عن صفوان بن عسال أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له نبي، فإن سمعك صارت له أربعة أعين. فأتيا النبي ﷺ فسألاه. فذكر الحديث. ولم يقل أحد منهم «أوحى إلى موسى أن قل لبني إسرائيل» والباقي سواء. عبد الله بن سلام كبر، فساء حفظه، وكان المسؤول عنه العشر كلمات؛ لأن عددها عشرة لا التسع آيات، لأن العشر وصايا كهذه، والتسع حجج على فرعون وقومه. انتهى.

---

(١) قوله: «سلهم من فرعون» يعني اطلبهم منه (ع).

ليطمئن قلبي).

فإن قلت: بم تعلق: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾؟

قلت: أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف، أي: فقلنا لهم: سلهم حين جاءهم، أو بسأل في القراءة الثانية، وأما على الأخير: فبآتينا، أو بإضمار اذكر، أو يخبروك، ومعنى (إذ جاءهم): إذ جاء آباءهم، ﴿مَسْحُورًا﴾: سحرت فخولط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: يا فرعون، ﴿مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: الآيات إلا الله، عز وجل، ﴿بَصَآئِرَ﴾: بينات / ٢٠٦ ب مكشوفات، ولكنك معاند مكابر؛ ونحوه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقرئ: (علمتُ): بالضم، على معنى: إني لست بمسحور كما وصفتني، بل أنا عالم بصحة الأمر، وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض، ثم قارع ظنه بظنه، كأنه قال: إن ظننتني مسحوراً فأنا أظنك؛ ﴿مَثْبُورًا﴾: هالكاً، وظني أصح من ظنك؛ لأن له أمارة ظاهرة، وهي: إنكارك ما عرفت صحته؛ ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنك: فكذب بحت؛ لأن قولك مع علمك بصحة أمري: إني لأظنك مسحوراً: قول كذاب؛ وقال الفرّاء: (مثبوراً): مصروفاً عن الخير مطبوعاً على قلبك، من قولهم: ما ثبرك عن هذا؟ أي: ما منعك وصرفك؟ وقرأ أبيّ بن كعب: «وإن إخالك يا فرعون لمثبوراً»: على: إن المخففة واللام الفارقة، ﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون أن يستخف موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها، أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال، فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه، ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: التي أراد فرعون أن يستفزكم منها، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعني: قيام الساعة، ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جمعاً مختلطين إياكم وإياهم، ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم، واللفيف: الجماعات من قبائل شتى.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ﴾: وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله، وما نزل إلا ملتبساً بالحق والحكمة؛ لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق، محفوظاً بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط

الشياطين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: إلا لتبشرهم بالجنة، وتنذرهم من النار، ليس إليك وراء ذلك شيء، من إكراه على الدين أو نحو ذلك.

﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾

﴿وَقُرۡءَانٗا﴾: منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾، وقرأه أبيّ: «فرّقناه»: بالتشديد، أي: جعلنا نزوله مفرّقاً منجماً، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قرأ مشدداً وقال: لم ينزل في يومين أو ثلاثة، بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة، يعني: أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب، ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: بالفتح والضم: على مهل وتؤدة وتثبت، ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾: على حسب الحوادث.

﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ١٠٩﴾

﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُواْۚ﴾: أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم، ألاَّ يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه؛ وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك، فإن خيراً منهم وأفضل ـ وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع ـ قد آمنوا به وصدقوه، وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم، فإذا تلي عليهم خرّوا سجداً وسبحوا الله؛ تعظيماً لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة، وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وهو المراد بالوعد في قوله: ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا . . . وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ أي: يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين.

فإن قلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ تعليل لماذا؟

قلت: يجوز أن يكون تعليلاً لقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُواْۚ﴾، وأن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول الله ﷺ وتطييب نفسه، كأنه قيل: تسلّ عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء، وعلى الأول: إن لم تؤمنوا به لقد آمن[1] به من هو خير منكم.

فإن قلت: ما معنى الخرور للذقن؟

قلت: السقوط على الوجه؛ وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين؛ لأن الساجد أول

---

(١) قوله: «لقد آمن» لعله «فقد» (ع).

ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن.

فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت: خرّ على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه؟ قال [من الوافر]:

.... فخرَّ صَريعاً لِلْيدَيْنِ ولِلْفَمِ[1]

قلت: معناه: جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به؛ لأن اللام للاختصاص.

فإن قلت: لم كرّر يخرون للأذقان؟

قلت: لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ سمعه أبو جهل يقول: يا الله يا رحمن، فقال: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر، وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إنك لتقل ذكر الرحمن، وقد أكثر الله في التوراة هذا الإسم؛ فنزلت، والدعاء بمعنى: التسمية، لا بمعنى: النداء، وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيداً، ثم يترك أحدهما؛ استغناء عنه فيقال: دعوت زيداً، والله والرحمن، المراد بهما: الإسم، لا المسمى، وأو للتخيير،

---

(١) فيوم الكلاب قد أزالت رماحنا ... شرحبيل إذ آلى ألية مقسم
لينتزعن أرماحنا فأزاله ... أبو حنش عن ظهر شنقاء صلدم
تناوله بالرمح ثم انثنى له ... فخر صريعاً لليدين وللفم

لجابر الثعلبي. وقيل: البيت الثالث لشريح العبسي. وقيل: لزهير. والكلاب بالضم اسم موضع الواقعة. وآلى: أي حلف. والشنقاء: الطويلة من الخيل. والصلدم ـ بكسر المهملتين ـ: القوية. ويروى: ثم اثّنى له. وأصله: انثنى، فأدغمت النون بعد قلبها ثاء في الثاء. ولو قرىء: ثم ائتني، من أتاني وتمهل لجاز. ويروى: دلفت له بالرمح من تحت بزه. ويروى: شققت له بالرمح جيب قميصه. ولعل اختلاف الروايات لاختلاف القائل. والتناول: الأخذ، فالمعنى: لحقه فطعنه بالرمح، كأنه أخذه، ثم انثنى له: أي طعنه مرة أخرى، فسقط مطروحاً، وجعل ذلك ليديه وفمه؛ لأنها التي يستقبل بها الأرض أولاً حين سقوطه على وجهه، واللام هنا بمعنى على كما ذكره النحاة، وإن أنكره النحاس. ودلف دلفاً كتعب تعباً: إذا تقدم بسرعة وقارب بين خطاه. وجيب قميصه: كناية عن صدره؛ لأنه إذا شق طوق القميص بالرمح فقد شق الصدر.

وهو لجابر بن حني في شرح اختيارات المفضل ص ٩٥٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٦٢، وللأشعث الكندي في الأزهية ص ٢٨٨، ولربيعة بن مكدم في الأغاني ١٦/ ٣٢، ولعصام بن المقشعر في معجم الشعراء ص ٢٧٠، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥١١. والجنى الداني ص ١٠١ ورصف المباني ص ٢٢١، وشرح الأشموني ٢/ ٢٩١، ومغني اللبيب ١/ ٢١٢.

فمعنى: ﴿ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾: سموا بهذا الإسم أو بهذا، واذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في ﴿أَيًّا﴾: عوض من المضاف إليه، و﴿ما﴾: صلة للإبهام المؤكد لما في أيّ، أي: أيّ هذين الإسمين سميتم وذكرتم، ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: والضمير في (فله): ليس براجع إلى أحد الإسمين المذكورين، ولكن إلى مسماهما وهو ذاته تعالى؛ لأن التسمية للذات لا للإسم، والمعنى: أيًا ما تدعوا فهو حسن، فوضع موضعه قوله: (فله الأسماء الحسنى)؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الإسمان؛ لأنهما منها، ومعنى كونهما أحسن الأسماء، أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم، ﴿بصلاتك﴾: بقراءة صلاتك على حذف المضاف؛ لأنه لا يلبس، من قبل أن الجهر، والمخافتة: صفتان تعتقبان/ ٢٠٧ أ على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته، فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا، فأمر بأن يخفض من صوته، والمعنى: ولا تجهر حتى تسمع المشركين، ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾: حتى لا تسمع من خلفك، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ﴾: الجهر والمخافتة، ﴿سَبِيلًا﴾: وسطاً، وروي أنّ أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته، ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يرفع صوته ويقول: أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان، فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض (٨٩٠) قليلاً، وقيل: معناه: ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها، وابتغ

---

٨٩٠ ـ ورد من حديث أبي قتادة، وأبي هريرة وعلي.

ـ أما حديث أبي قتادة:

فأخرجه أبو داود (٢/ ٣٧) ـ كتاب الصلاة ـ باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل حديث رقم (١٣٢٩)، والترمذي (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) ـ كتاب أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في قراءة الليل ـ (٤٤٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣١٠) ـ كتاب صلاة التطوع، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) (١١٦١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٦ ـ ٧) (٧٣٣)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٢٨) (٢٦١٢) وقال هذا مرسل وقد رويناه موصولاً من حديث أبي قتادة كلهم من طريق يحيى بن إسحاق السيلحيني قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة أن النبي ﷺ مر بأبي بكر وهو يصلي... وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: حديث غريب، وإنما أسنده يحيى بن إسحاق عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رَوَوْا هذا الحديث عن ثابت عن عبد الله بن رباح مرسلاً.

وقال ابن أبي حاتم في علله: سألت أبي عن حديث رواه يحيى بن إسحاق السيلحيني، عن حماد، عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة أن النبي ـ صلى العشاء... فذكر الحديث فقال أبي: أخطأ فيه السيلحيني، والصحيح، عن عبد الله بن رباح أن النبي ﷺ مرسلاً. قلت: ويحيى بن إسحاق البجلي أبو زكريا، ويقال: أبو بكر السَّيلحيني، قال أحمد بن حنبل: شيخ صالح ثقة، سمع من الشاميين ومن ابن لهيعة، وهو صدوق، وقال يحيى بن معين: صدوق المسكين، وقال الذهبي في الكاشف: ثقة، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة: =

بين ذلك سبيلاً: بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار، وقيل: (بصلاتك): بدعائك، وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وابتغاء السبيل: مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

﴿وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به، أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته.

فإن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد[1]؟

قلت: لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة، فهو الذي يستحق جنس الحمد، وكان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية (٨٩١).

= أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) (١٣٣٠) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ .. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢٨) (٢٦١٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٦٩) (٢٢٨٣٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٤) لسعيد بن منصور وابن المنذر عن محمد ابن سيرين قال: نبئت أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان إذا قرأ خفض... وله شاهد آخر من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ.
أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٠٩) ورجاله ثقات.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم من رواية يحيى بن إسحاق السيلحيني عن حماد، عن ثابت، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة بمعناه. وليس فيه قوله «قد علم حاجتي» وفيه أن كلام كل منهما كان لما سأله النبي ﷺ عن ذلك؛ قال الترمذي: رواه أكثر الناس فلم يذكروا أبا قتادة. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه لفظاً: فيه يحيى بن إسحاق، والصواب مرسلاً، وفي الباب عن علي أخرجه البيهقي في الشعب. وعن أبي هريرة أخرجه أبو داود من رواية محمد بن عمر. وعن أبي سلمة عنه مختصراً. وأخرجه الطبري من رواية محمد بن سيرين قال «نبئت أن أبا بكر فذكره» وقال فيه: أناجي ربي وقد علم حاجتي. انتهى.
٨٩١ ـ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٣٣٤) (٧٩٧٦) عن ابن عيينة، عن عبد الكريم أبي أمة. قال: =

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك... إلخ» قال أحمد: وقد لاحظ الزمخشري ههنا ما أغفله عند قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم، بأن هذه الجملة لا يليق اقترانها بكلمة التحميد ولا تناسبها، فإنك لو قلت ابتداء: الحمد لله الذي الذين كفروا به يعدلون، لم يكن مناسباً، والله أعلم.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ بَني إسرائيلَ فَرقٌ قَلْبُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الوَالِدَيْنِ كَانَ لَهُ قِنْطَارٌ فِي الجنَّةِ، والْقِنْطَارُ: أَلْفُ أَوْقِيَةٌ وَمَائَتَا أَوْقِيَةٍ»، رزقنا الله بفضله العميم وإحسانه الجسيم (٨٩٢).

= كان رسول الله ﷺ يعلم الغلام... وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٣) ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب في الصبيان متى يتعلمون القرآن ـ (٣٠٢٧٩) حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الكريم، عن عمرو بن شعيب قال: كان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علمه النبي ﷺ .. وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٧٧).

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق. قالا: أخبرنا ابن عيينة عن عبد الكريم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. انتهى.

٨٩٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦).